سر التوأمين

مكتبة معروف

اجاثا كريستى

سر التوأمين

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف
الإسكندرية : ٤٨١٠٤٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٣٦١١٢٣٩ ص.ب ٢٣٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربى للنشر بالإسكندرية
معروف أخوان
اسكندرية ٤ ش سعد زغلول

تمهيد

كان هركيول بوارو ينتظر صديقته اريان أوليفر ، كاتبة الروايات البوليسية المعروفة . كان يبدو أنها تريد أن تسأله شيئا ، ولكن لماذا أبدت مثل هذا التردد فى حديثها معه ؟ هل تأتيه بمشكلة عويصة تنشد لها حلا ؟ أم تراها ستحدثه عن جريمة قتل ؟ . كان يعلم أن الامر معها لا يمكن أن يكون أى شئ فان أبسط الامور وأكثرها تعقيدا كانت تتشابه عندها بصورة عجيبة .

وردته أفكاره الى سنوات مضت ، وتذكر الاحداث المختلفة التى جرته اليها .. جريمة قتل وهمية أثناء حفلة خيرية تحولت دون أى انتظار الى جريمة قتل حقيقية .. وفتاة جاءته ذات يوم تقطع عليه طعام فطوره لتخبره بأنها ارتكبت جريمة قتل وان كانت غير متأكدة . وكشفت له مسز أوليفر شخصية الفتاة بعد ذلك ولكنها هى نفسها تعرضت للضرب وأوشكت أن تلقى حتفها فى هذه المغامرة .

ولكن هل تسوقه زيارتها له الليلة الى مغامرة خطيرة أم أن الامر لا يعدو أن يكون مجرد معضلة بسيطة ؟.. ما كان ليستطيع أن يتنبأ بأنه سيجد نفسه أمام قضية انتحار مزدوج مضى عليها خمسة عشر عاما واعتقد البوليس أنه وجد لها حلا مرضيا .

ما كان ليتوقع أبدا أنه سيجد نفسه ، على الرغم منه في بادئ الامر ، مشتركا في هذه القضية بسبب شابين متحابين يتمنيان الزواج ، وما كان ليدري مدى الأهمية التي سيعلقها عليه هذان الشابان ولا الاماكن التي سيذهب اليها ولا الاستجوابات التي سيلقيها ولا النشاط الذي سيبذله ولا العطف الذي سيشعر به ولا أعماق المأساة التي سيسبر غورها .

ما كان ليتوقع اى شئ من كل هذا وهو يعيد سماعة التليفون مكانها . ولم يكن يفكر عندئذ الا في شئ واحد هو أن مسز أوليفر ستأتيه بعد العشاء لتعرض عليه مشكلة ولكي تسأله النصح والمشورة .. مشكلة لم يكن يعتقد أنه سيصادف فيها أية صعوبة ، وفي هذا وحده الدليل على أن أشد الناس ذكاء لا يمكن أن يتوقع ما سوف يقع له في المستقبل القريب .

***

الفصل الأول

نظرت مسز أوليفر الى المرآة وهى تتطلع فى نفس الوقت الى ساعة الموقد التى بدت لها متأخرة نحو عشرين دقيقة ثم عادت تتأمل تسريحتها . كان الشئ الوحيد الذى يزعجها ، وكانت تعرف ذلك جيدا ، وهو أنها كانت تغير تسريحتها بصفة مستمرة . وقد جربت كل شئ تقريبا ، فقد سرحت شعرها ذات مرة على طريقة الماركيزة بومبادور ، وسرحته مرة أخرى الى الوراء لكى تكشف عن جبينها العريض المفكر .. أو على الأقل كانت تأمل ذلك ، وسرحته فى خصلات مرتبة ، بل أنها سرحته ذات مرة بطريقة مشوشة فنية ، ولكن لم يهمها اليوم نوع التسريحة التى ستقدم عليها طالما أنها تنوى أن تلبس قبعة وهو الامر الذى ندر أن تفعله .

كانت هناك أربع قبعات فوق الرف الاخير بدولابها .. قبعتان منها كانت تخصصهما لحفلات الزواج بالذات ففى مثل هذه الحالات كانت القبعة امرا اجباريا .. كانت الأولى مزدانة بالريش وتتخذ شكل الرأس تماما ، وتقاوم بشكل عجيب الامطار الشديدة التى يمكن أن تهطل فجأة فى اللحظة التى تهبط فيها من العربة أمام الكنيسة

والثانية أكثر أناقة ولا يمكن لبسها الا لحضور حفلة زواج فى أصيل يوم جميل من أيام الصيف لانها مزدانة ببعض الزهور وبطانة من التل الاصفر الثمين . أما القبعتان الاخريان فكانتا لكل المناسبات ، اولاهما كانت مسز أوليفر تخصصها للريف وهى مصنوعة من اللباد الهافانى تليق جدا مع تايير من التويد وبلوفرين تملكهما ، احدهما من وبر الماعز والاخر نوعا أخف للايام الحارة . ومع ذلك وعلى الرغم من أنها تلبس البلوفر دائما فهى لم تكن تلبس القبعة ابدا ، ولماذا تلبس القبعة وهى لا تفعل شيئا الا أن تذهب لتناول الغذاء مع بعض الاصدقاء فى الريف ؟

أما القبعة الرابعة ، وهى أغلاها ثمنا فكانت لها فوائد عجيبة . ولا ريب أن مسز أوليفر كانت تعتقد ذلك لانها دفعت فيها ثمنا غاليا ، وكانت هذه القبعة عبارة عن عمامة مكونة من عُدة طبقات من المخمل بلون الباستل يليق مع كل لون .

وترددت مسز أوليفر قليلا ثم صاحت :– ماريا ..

وأسرعت ماريا اليها .. وكانت قد اعتادت على أن تدعوها سيدتها لتسألها رأيها عندما ترتدى ثيابا للخروج .

– هل تلبسين هذه القبعة الجميلة ؟

– نعم ، وأردت أن أعرف هل ألبسها هكذا .. أم من الخلف ؟

أرتدت ماريا خطوة الى الوراء لترى تأثير القبعة على سيدتها وقالت :

– أظن انك لبستها من الناحيتين أليس كذلك ؟

قالت مسز أوليفر :– نعم . هذا صحيح ، واننى أعرف ذلك تماما ولكن يخامرنى احساس بأنها أحسن من هذه الناحية .

– أوه .. ولماذا ؟

– لانها صممت لكى تلبس منها .. ربما بسبب هذا الظل الازرق الذى يتمشى مع هذا اللون الرمادى وهما لونان أفضلهما بكثير عن اللونين الأخضر والاحمر اللذين فى

الناحية الأخرى .

نضّت مسز أوليفر القبعة عنها ولبستها من الخلف ثم أمالتها فوق رأسها قليلا ولكن النتيجة لم ترق لها ولا لماريا . وقالت الخادمة :

- انها لا تليق عليك هكذا .. بل لا تليق على أى شخص آخر .

- كلا . اظن أننى سألبسها من الجانب الصحيح .

وخلعت مسز أوليفر القبعة عن رأسها وبعد أن ساعدتها ماريا فى ارتداء ثوب من الصوف الخفيف أكلف اللون عادت فلبست القبعة من الجانب الصحيح . وتمتمت ماريا تقول :

- انك فى غاية الاناقة يا سيدتى .

كانت مسز أوليفر تحب ماريا لهذا السبب ، فقد كانت الخادمة لا تترك فرصة الا وتجامل سيدتها وتجزل لها فى المديح .

- أظن انك ستلقين خطابا فى هذه المأدبة .

صاحت مسز أوليفر مذعورة :- خطاب .. كلا بكل تأكيد . انك تعرفين جيدا أن هذه ليست عادتى .

- ظننت دائما أنهم يلقون خطابا فى مثل هذه الولائم الادبية .

- ليست بى أنا نفسى حاجة الى القاء خطاب . فلن يخلو المكان من أناس يحلو لهم ذلك ويعرفون كيف يتصرفون أفضل منى .

قالت ماريا فى اغراء :- اننى واثقة انك تستطيعين القاء خطاب رائع اذا أردت .

- كلا . اننى اعرف تماما ما أستطيع ان أفعل وما لا يليق بى . سأعجز تماما عن النطق بأى خطاب سيتملكنى الاضطراب والانفعال وسأتلعثم وأردد نفس الكلمات أكثر من مرة . لن أشعر بأننى حمقاء فحسب ولكننى سأبدو كذلك حقا .

- حسنا . ارجو أن يمر كل شئ على ما يرام . انها مأدبة كبيرة . أليس كذلك ؟

أجابت مسز أوليفر فى اعياء :- نعم . مأدبة كبيرة جدا .

وقالت تحدث نفسها :- واننى لاتسا ءل لماذا اختلف اليها حقا .

ولكنها لم تعبر عن هذا الرأى بصوت مسموع لان ماريا أسرعت عائدة الى المطبخ مذعورة اذ اشتمت رائحة المربى وهى تفور فوق الموقد .

وعادت مسز أوليفر تقول :

- أظن أن ذلك لاننى أشعر بالرغبة فى معرفة الجو فكثيرا ما دعيت الى المآدب الادبية ، دون أن أختلف اليها ابدا .

***

راحت مسز أوليفر تعالج كعكعة المرنج التى أمامها ، وهى كعكة لذيذة تغطيها طبقة من مزيج من السكر والبيض تحب أن تتناولها بعد الاكل على وجه الخصوص ، ولكن عندما يبلغ المرء سنا معينة ينبغى أن يتوخى الحذر وهو يتناول كعك المرنج وذلك بسبب الاسنان . واسنانها جيدة طبعا ولها ميزة لا يمكن نكرانها وهى أنها لا تؤلمها ابدا فهى اسنان جميلة متناسقة ناصعة البياض ، أجمل بكثير من الاسنان الطبيعية ولكن مسز أوليفر كانت مقتنعة بأن الخامة التى صنعت منها ليست ممتازة جدا .. كانت تعتقد أن للكلاب أسنانا من العاج الحقيقى فى حين أن أسنان البشر ليست الا من العظم او من مادة بلاستيكية اذا كانت صناعية . مهما يكن فان من المهم ألا تزج بنفسها فى موقف محرج . كانت تجد بعض الصعوبة فى أكل السلطات والمكسرات وبعض انواع الشكولاتة والكراملة ومربى المرنج . وتنهدت فى ارتياح وهى تفرغ من آخر قطعة من الحلوى .

كانت المأدبة قد أقيمت تكريما لنساء الادب . ولكن لحسن الحظ لم يكن جميع المدعوين من الوسط النسائى ، وقد جلست مسز أوليفر بين اثنين من الجنس الاخر هما أدوين أوبين الذى طالما قدرت أشعاره ، وهو رجل دمث الاخلاق اشتهر بمغامراته

الكثيرة خلال رحلاته العديدة الى الخارج وبين سير وزلى كنت ، وهو رجل على جانب كبير من الرقة والادب ذكر لها أشياء كثيرة ظريفة بخصوص رواياتها معددا الاسباب التى أحبت من أجلها هذه الرواية او تلك . وتقبلت كلامه شاكرة ، فقد كانت ترحب دائما باعجاب الرجال . كانت النساء عادة يبدين تأثرا فى غير موضعه وكن يكتبن لها خطابات غريبة ولكن يجب أن تعترف أن هناك أناسا يكتبون لها من وراء البحار أشياء غير مقبولة على الاطلاق ، وقد جاءتها رسالة فى الاسبوع الماضى تبدأ بهذه الكلمات:"ما أن قرأت روايتك الاخيرة " السمكة الثانية الحمراء " . حتى أدركت مدى نبل عواطفك " . ولم تكن مسز أوليفر مفرطة فى التواضع ، وكانت ترى أن الروايات البوليسية التى تكتبها لا بأس بها فى نوعها ولكنها لم تر على الاطلاق سببا يدعو صاحبنا هذا الى أن يعتقد فى نبل عواطفها . كانت تتمتع فحسب بموهبة كتابة روايات يحب الكثير من الناس قراءتها .

ويدأ المدعوون يذهبون الى غرفة الاستقبال لاحتساء القهوة . وكانت مسز أوليفر تعرف بحكم التجربة اللحظة الخطرة .. اللحظة التى ستتهافت فيها النساء عليها ويفرضن عليها ثناء مفرطا يضايقها ويلقين عليها أسئلة كان من الصعب أن ترد عليها عادة ، وقد قالت لها صديقة أجنبية ذات يوم بصوتها الجدى ذى اللكنة الظريفة .

- سمعت ما قلت الان لذلك الصحفى الشاب وأرى أنه ينقصك .. ماذا أقول .. الفخر فيما يتعلق بمؤلفاتك .. يجب أن تردى هكذا : " أوه .. نعم ، اننى أجيد الكتابة .. أحسن من أى كاتب آخر يكتب الروايات البوليسية " .

وقد اعترضت مسز أوليفر قائلة :- ولكن ليس هذا صحيحا .. اننى لا أكتب روايات رديئة طبعا ولكننى مع ذلك ..

- آه .. لا تردى هكذا أبدا .. يجب أن تقولى انك الاحسن حتى اذا كنت لا تعتقدين ذلك لكى يسمع العالم كله ذلك ويردده .

قالت الكاتبة تحدث نفسها أن الامر لن يكون بمثل هذه الصعوبة فلم تكن هناك غير امرأتين او ثلاث رحن يحملقن فيها وهن ينتظرن بلا ريب اللحظة التى تغادر فيها قاعة الطعام . ستكتفى بأن توجه اليهن ابتسامة وان ترد عليهن ردا عاديا مثال : " جميل منك هذا القول . يسرنى أن أعرف أناسا يحبون كتبى . ثم تحاول أن تهرب منهن بعد ذلك .

ودارت عيناها بغرفة الاستقبال لعلها تجد بعض الاصدقاء أو بعض المعجبين المزعومين . ولكن المدعوين كانوا قد بدأوا يمضون نحو المقاعد والارائك ، وكان الخطر وشيك الوقوع . وقد جاء فى صورة امرأة ضخمة الجسم يبدو عليها الوقار وحب السيطرة . وصاحت بصوت مرتفع :

– أوه ، مسز أوليفر . ما أشد غبطتى بلقائى بك اليوم . كنت أتمنى أن أراك منذ وقت طويل . اننى أعبد كتبك ، ولا أجد كلمة أخرى أستطيع أن أعبر بها عن اعجابى. وابنى هو الاخر يعبدها . أما زوجى فلم يكن يسافر أبدا من غير أن يأخذ معه على الاقل روايتين من رواياتك . ولكن لنجلس أولا فهناك أشياء كثيرة أحب أن أسألك عنها .

فكرت مسز أوليفر أن هذه المرأة ليست أبدا من ذلك النوع الذى تستطيع أن تتعاطف معه ... ولكن ما المهم ؟ ... هذه أو غيرها ؟...

ومضت معها الى أريكة صغيرة فى ركن من الغرفة . وقالت معجبتها الجديدة بعد أن قدمت اليها القهوة :

– حسنا ... ها نحن قد جلسنا ... أظن أنك لا تعرفين اسمى ... أنا مسز بيرتون كوكس .

أجابت الكاتبة وقد ازداد ارتباكها :– أوه ، نعم ... مسز بيرتون كوكس ؟... خيل اليها أنها سمعت هذا الاسم قبل اليوم ... هل تكتب هى الأخرى ؟.. اذا كانت

تكتب فهى لا تكتب روايات بكل تأكيد ... ربما تكتب فى السياسة .

ستندهشين مما سأقوله لك ، ولكننى شعرت وأنا أقرأ كتبك أنك امرأة شغوفة جدا وأنك تعرفين الطبيعة البشرية وأظن انه اذا كان هناك من يستطيع أن يقدم لى ردا على السؤال المزعج الذى لا أعرف له جوابا فهو أنت .

- ولكننى لا أرى حقا .

غمست مسز بيرتون قطعة من السكر فى القهوة ثم قرقشتها كما لو كانت قطعة من العظم . وقالت مسز أوليفر تحدث نفسها :

- لعلها أسنان من العاج .

- أول شئ أريد معرفته هو هذا ... ان لك ابنة فى العماد تدعى سليا رافنسكروفت ، أليس كذلك ؟

لم يسع الكاتبة الا أن تهفت فى شئ من الدهشة :- أوه !

كانت أما فى العماد لعدد كبير من الصبية والبنات ، وكلما تقدمت فى السن عجزت عن أن تتذكرهم كلهم ، فقد قامت بواجبها فى الوقت المطلوب وأرسلت اليهم هدايا فى عيد الميلاد وزارتهم فى أغلب الاحيان ، وأخرجتهم فى عطلة نهاية الاسبوع من مدارسهم الداخلية واصطحبتهم للنزهة . بلغوا سن الرشد أو تزوجوا ، وكل هذه ظروف كان يتعين عليها طبعا أن تفعل فيها شيئا . وتدريجا اختفى كل ذلك وأمحى من حياتها .

وعادت مسز أوليفر تقول :- سليا رافنسكروفت ... نعم ، نعم ... طبعا .

ولكنها لم تستطع أن تستعيد الى ذهنها صورة حديثة للفتاة . تذكرت أنها قدمت لها بمناسبة تعميدها مصفاة جميلة من الفضة يرجع عهدها الى عهد الملكة آن . وهى أداة نافعة لتصفية السوائل ، ولها فائدة أخرى اذ تستطيع ابنتها فى العماد أن تبيعها بعد ذلك بثمن لا بأس به اذا احتاجت الى مبلغ من المال .

- ولكنتى لم أرها منذ مدة طويلة .

- أظن أنها فتاة مستقلة وعصبية تغير آراءها كثيرا ، وعلى درجة كبيرة من الثقافة مع ذلك ، وتفوقت فى الجامعة ولكن آراءها فى السياسة ... بيد أننى أظن ان جميع شباب اليوم تقريبا يهتمون بالسياسة .

وكانت مسز أوليفر تعتقد دائما أن السياسة انما هى نوع من اللعنات فأسرعت تقول:

- أعترف أننى لا أفهم كثيرا فى هذه المسألة .

- سأكشف لك عن قلبى وأخبرك بما أريد معرفته . واننى واثقة أنك ستسارعين الى افادتى فاننى سمعت الجميع يتحدثون عن قلبك الطيب وحسن اداركك .

قالت مسز أوليفر تحدث نفسها وقد عادت الى ذاكرتها بعض الاحاديث التى بدأت بهذه الطريقة :- اننى أتساءل اذا كانت تريد أن تقترض منى بعض المال .

واستطردت مسز بيرتون تقول :- اننى أعتبر اللحظة شديدة الخطورة بالنسبة لى ، والواقع أن سليا قد عقدت النية على أن تتزوج ابنى دسموند .

- أوه ، حقا !

- هذه فكرتها على الاقل فى الوقت الحاضر . ولكن لاشك أنك تدركين أن من الضرورى أن نعرف الناس ، وهناك نقطة أريد أن أجلوها ، وهذا أمر خاص تماما ولا أستطيع أن أطلبه ... ماذا أقول ... من امرأة غريبة . ولكن أنت يا عزيزتى مس . أوليفر لست غريبة حقا .

تمنت الكاتبة لو أنها كانت غريبة حقا لانها بدأت تشعر بالقلق . وتساءلت اذا كانت سليا قد أنجبت طفلا أو اذا كانت حاملا وتظن هذه المرأة الضخمة أنها على علم بذلك . لو صح هذا فانه يكون أمرا مزعجا . ومن ناحية أخرى ، ونظرا الى أن سليا قد أصبحت الان فى الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين من عمرها فان من السهل

جدا على أن أرد بأنني لا أعرف شيئا .

وانحنت مسز بيرتون كوكس فوقها وقالت :- أظن أنك تعرفين ما حدث وتعرفين تفاصيل المأساة من غير شك . هل أمها هى التى قتلت أباها أم أن العكس هو الذى حدث ؟

كانت مسز أوليفر تتوقع كل شئ الا هذا واتسعت عيناها ونظرت الى مسز بيرتون كوكس فى شئ من الدهشة وقالت :

- ولكن ... انني لا أفهم ... أعني ... لا أرى سببا ..

- أى عزيزتى مسز أوليفر . لا ريب أنك تعرفين القصة كلها فهى قضية مشهورة... أوه ... أعرف تماما أن هذه المأساة قد وقعت منذ خمسة عشر عاما ولكن كان لها دوى عظيم ولابد أنك تتذكرينها .

راحت مسز أوليفر تعصر ذهنها فى محاولة لايجاد رد ملائم . كانت سليا ابنتها فى العماد ... وكانت أمها موللى برستون جراى صديقة لها وان لم تكن صديقة حميمة وكانت قد تزوجت بضابط اسمه رافنسكروفت ، هذا اذا لم يكن سفيرا ومن الغريب أنها لا تستطيع أن تتذكر هذا الامر ، بل انها لا تستطيع أن تتذكر اذا كانت قد حضرت حفل الزواج بصفتها فتاة شرف للعروس . وبعد ذلك غادر آل رافنسكروفت انجلترا وانتقلوا للاقامة فى الشرق الاوسط أو فى الهند ... انها لا تدرى وليست واثقة من ذلك ... ورأتهما فى أوقات متفاوتة أثناء اقامتهما القصيرة فى انجلترا ، ولكنها لم تحتفظ لهما فى ذهنها الا بصورة مبهمة ... كما يتصور المرء تلك الصور الذابلة التى يعثر عليها حين يقلب البوما قديما .

حملقت مسز بيرتون كوكس فيها بعينين مستديرتين كما لو كانت قد شعرت بشئ من الخيبة ازاء رعونتها أو عجزها عن اعادة قضية كانت مشهورة فى حينها الى ذاكرة محدثتها .

- هل تعنين ذلك الحادث ؟...

- أوه ، كلا . لم يكن حادثا . حدث هذا فى اقليم كنت حيث كان آل رانفسكروفت يعيشون فى فيللا على شاطئ البحر . وقد عثر بعض الناس ذات يوم على الجثتين على الشاطئ الصخرى وقد قتل كل منهما بعيار نارى . ولكن البوليس لم يستطيع أن يحدد اذا كانت المرأة هى التى قتلت زوجها ثم انتحرت بعد ذلك أو اذا كان الرجل هو الذى بدأ فقتل زوجته قبل أن ينتحر .

ولم يستطع الخبراء الوصول الى نتيجة ايجابية من فحص الرصاصتين . وخطر لهم أن الامر قد يكون انتحارا مزدوجا . ولكن كان من الممكن طبعا أن يكون الامر عبارة عن جريمة قتل خطأ يعقبها انتحار . ومع ذلك فقد بدا أن الجميع يعتقدون أن جريمة القتل كانت اختيارية وقد ذكرت الجرائد وكذلك الجمهور الكثير من القصص .

قالت مس . أوليفر :- وهى قصص لا تخلو من كثير من الخيال طبعا .

- هذا جائز . ولكن من العسير جدا اثباته . تحدثوا عن شجار نشب بينهما فى الليلة السابقة وأشار بعضهم الى وجود رجل آخر وامرأة أخرى طبعا ، ولكن لم تظهر الحقيقة أبدا بسبب المركز الكبير الذى كان يشغله الجنرال رافنسكروفت ، بل لقد قيل أنه سبق أن قضى فترة فى مستشفى للامراض العصبية وأنه لم يكن مسئولا عن أعماله.

أجابت مسز أوليفر فى صوت هادئ :- اننى آسفة حقا ، ولكننى لا أعرف حقا شيئا عن هذه المسألة ، غير أننى أتذكر الان ، وقد حدثتنى أنت عن هذه المأساة ولكننى لم أعرف أبدا ماذا وقع .

وقالت الكاتبة تحدث نفسها وهى تأسف لانها لا تجد من نفسها الجرأة لكى تعبر عن رأيها جهارا :- اننى أتساءل كيف وجدت الجرأة لكى تأتى وتلقى على مثل هذا السؤال .

قالت مسز بيرتون كوكس فى اصرار :- من الاهمية الكبرى أن أعرف بما أن ابنى ، ذلك الولد العزيز يريد أن يتزوج سليا .

- يؤسفنى أننى لا أستطيع مساعدتك لاننى لم أعرف أبدا تفاصيل القضية .

لم تعبأ مسز بيرتون بهذا الرد وألحت قائلة :- ومع ذلك ، ومع القصص العجيبة التى تكتبينها ، فانك تعرفين بالتأكيد علم الاجرام وتعرفين من هم الاشخاص الذين يتعرضون لارتكاب جرائم القتل ولماذا ؟

صاحت مسز أوليفر فى لهجة غير مهذبة تقريبا :- اننى لا أعرف شيئا .

- أرجو أن تفهى أننى لا أعرف الى من ألجأ . من العسير أن ألجأ ، بعد كل هذه السنين الطويلة ، الى البوليس لاننى أعتقد أنه لن يذكر لى شيئا نظرا الى أن القضية حفظت علانية ، ومع ذلك فاننى أشعر أن من المهم أن أعرف الحقيقة .

أجابت مسز أوليفر فى برود :- فيما يخصنى أنا فاننى أكتفى بكتابة روايات تمت الى محض الخيال ولا أعرف شيئا عن الجريمة نفسها وليست لدى أية فكرة عن علم الاجرام وعلى ذلك لا أستطيع أن أساعدك بأية طريقة .

- يمكنك أن تسألى ابنتك فى العماد سليا .

- أسأل سليا ؟... لا أرى أبدا كيف أستطيع ذلك ... انها لم تكن غير طفلة عندما وقعت المأساة .

- ومع ذلك فاننى أظن انها على علم بالمسألة . ان الاولاد يعرفون أشياء كثيرة ، وأنا واثقة انها ستقول لك أنت كل ما تعرف .

- يخيل لى أن من الافضل أن تسأليها أنت ذلك .

- أظن أننى لا أستطيع ، فاننى واثقة أن ذلك لن يروق لدسموند لانه ... أنه شديد الحساسية فى كل ما يتعلق بسليا ... ولا أظن حقا أننى ... ولكننى متأكدة انها ستذكر لك كل شئ .

قالت مسز أوليفر :- لن أجرؤ أبدا على أن ألقى اليها مثل هذا السؤال .

وتظاهرت بأنها تلقى نظرة الى ساعتها ثم أسرعت تقول :

- رباه ... لقد انقضى الوقت سريعا . يجب أن أنصرف . ان لدى موعدا هاما . الى اللقاء يا مسز بيرتون كوكس . يؤسفنى أننى لا أستطيع مساعدتك ... ولكن مثل هذه الأمور شديدة الحساسية ... ثم اننى لا أظن أن ذلك قد يغير شيئا من الموقف بالنسبة لك .

- بل انه يغير كل شئ .

وفى هذه اللحظة مرت بهما امرأة أديبة تعرفها مسز أوليفر ما كادت هذه الأخيرة تراها حتى أمسكتها بذراعها قائلة :

- لويز ... ماأسعدنى برؤيتك ! كيف لم ألحظ وجودك قبل الان ؟

- أريان !... لم أرك منذ مدة طويلة فى الواقع ... انك ازددت نحافة عما رأيتك آخر مرة ، أليس كذلك ؟

أجابت مسز أوليفر وهى تجرها بعيدا :- انك من اللباقة بحيث تقولين لى دائما أشياء جميلة !.. اننى فى عجلة من أمرى لأن لدى موعدا هاما .

- أظن أنك كنت تريدين التخلص من براثن هذه المرأة البغيضة .

- انها راحت تلقى على أغرب الأسئلة .

- ولم تعرفى كيف تردين عليها ؟

- كلا حقا ، لانها لم تكن من اختصاصى . ولو أنها كانت كذلك لما رضيت أن أرد عليها على كل حال .

- وهل تتعلق بموضوع هام ؟

أجابت مسز أوليفر بعد لحظة تفكير :- يا الهى ! .. لم تكن بدون أهمية طبعا .

- تعالى . انها نهضت وقد عقدت العزم على أن تطاردك . اذا لم تكن عربتك

معك فاركبي معي .

- انني لا أستقل سيارتي في تنقلاتي بشوارع لندن فان من العسير أن أجد مكانا أقف فيه .

- أظنك مازلت تقيمين في استون تيراس ؟

- نعم . ولكن يجب أن أذهب في زيارة لوايتفريارز مانشيونز .

- أوه .. نعم .. انها عمارات كبيرة هندسية الشكل .. انني أعرفها .

***

الفصل الثانى

لم تجد مسز أوليفر صديقها هركيول بوارو فى بيته فلجأت بعد ذلك الى التليفون وسألته دون تمهيد :

- هل ستكون فى بيتك هذا المساء ؟

- وراحت تنقر بأصابعها فى عصبية فوق المنضدة التى عليها جهاز التليفون :- أتكونين أنت ؟

- قالت الكاتبة وهى تندهش دائما لان أصدقاءها لا يعرفون صوتها :- اريان أوليفر .

- نعم . سأكون بالبيت الليلة ... هل معنى هذا أننى سأسعد بزيارتك ؟

- جميل منك أن تواجه الامر بهذه الصورة لاننى لست متأكدا من أن زيارتى ستسرك الى هذا الحد .

- يسرنى دائما أن أراك يا صديقتى العزيزة .

- ولكن من الجائز أن زيارتى قد تزعجك فاننى أريد أن أستطلع رأيك فى أمر يشغلنى .

أجاب المخبر فى زهو لان التواضع لم يكن من صفاته :

- اننى مستعد دائما لازجاء رأيى للجميع .

- لقد وقع لى شئ يسبب لى انشغالا كبيرا ولا أدرى ماذا أفعل .

- حسنا يا سيدتى العزيزة . يسرنى جدا أن أستقبلك .

- ما هى الساعة التى توافقك ؟

- ما رأيك فى الساعة التاسعة ؟ سنتناول القهوة الا اذا فضلت عصير الكرز .. ولكن لا .. اننى أتذكر انك لا تحبين العصير .

وما أن أعاد بوارو السماعة مكانها حتى تحول الى جورج ، خادمه الامين ، وقال له:

- أى صديقى ، سنحظى الليلة بزيارة مسز أوليفر .. أظن أنه يجب اعداد القهوة وبعض الخمر .. ولا أدرى ما الذى تحبه هى بالذات .

- رأيتها تشرب شراب الكرز .

- ويخيل لى أنها تحب كريمة النعناع كذلك ، ولكن لا ريب أنها تؤثر شراب الكرز.

وصلت مسز أوليفر فى الساعة التاسعة تماما . وكان بوارو قد تساءل وهو يتناول عشاءه عما يمكن أن يكون سبب هذه الزيارة غير المتوقعة ، ولماذا ابدت الكاتبة هنا التردد نحو المسلك الذى يجب أن تسلكه . هل تأتيه بمعضلة عويصة أو تراها ستطلعه على جريمة قتل . لم يكن يجهل أنه يمكن توقع كل شئ مع مسز أوليفر .. أكثر الامور تفاهة أو على العكس من ذلك أكثرها غرابة .. هناك لحظات كانت تثير فيها حنقه . ولكنه مع ذلك كان مولعا بها .

وما أن دخلت الكاتبة حتى أدرك أن ظنه لم يخدعه، فقد كانت تبدو مشغولة البال حقا ، واستقبلها بظرفه العادى وأجلسها وقدم لها القهوة ثم ناولها كأسا من الخمر .

وبدأت مسز أوليفر تقول وهى تتنهد :- آه .. أظن أنك ستجدنى حمقاء جدا ..

ومع ذلك ...

- اننى قرأت فى الجريدة هذا المساء أنك حضرت اليوم مأدبة غداء أدبية وكنت أحسب أنك لا تحضرين مثل هذه المآدب .

- اننى أذهب أحيانا الى حفلات الكوكتيل ولكن يندر أن أذهب الى المآدب حقا . ولن اختلف اليها بعد ذلك بسهولة .

- ألم ترق لك ؟

- بلى .. حتى نقطة معينة . ولكن حدث بعد ذلك أمر مزعج .

- وأظن أن هذا الامر هو الذى دفعك الى القدوم الى ؟

- نم . ولا أدرى لماذا حقا ، لان هذا الامر لا شأن لك به ولا أظن أنه من ذلك النوع الذى يثير اهتمامك . وعلى الرغم من كل شئ فاننى أحب أن أستطلع رأيك وان أعرف ماذا تفعل لو كنت مكانى .

- هذه النقطة الاخيرة حساسة جدا ، فأنا هركيول بوارو أعرف كيف أتصرف فى كل الظروف والمناسبات ولكننى لا أدرى اذا كنت أنت تستطيعين ذلك .

- لابد أنك كونت لنفسك رأيا فأنت تعرفنى منذ وقت طويل .

- منذ عشرين عاما اذا لم أخطئ .

- لا أعرف بالضبط فاننى لا أتذكر التواريخ أبدا . اننى أتذكر سنة ١٩٣٩ بسبب بداية نشوب الحرب وكذلك التواريخ الاخرى التى لها صبغة الاهمية الكبرى .

- نعود الى مأدبتنا الادبية اذن .. ألم ترق لك ؟

- بل راقت لى المآدبة نفسها ، ولكن حدث بعد ذلك أن فرغنا من تناول الطعام ، فان سيدة مهيبة ضخمة الجسم من أولئك السيدات اللاتى يتصرفن دائما لكى يسيطرن على الجميع هجمت على تماما كما يهجم المرء لكى ينسك بفراسة ودفعتنى الى أريكة وراحت تحدثنى عن أولادى فى العماد على الرغم من أننى لم أرهم منذ سنوات عديدة ،

وأرادت أن تعرف .. يا الهى !.. ما أصعب أن أقول لك هذا .

أجاب بوارو فى هدوء :- أبدا .. ان الامر سهل جدا على العكس . ان الجميع ينتهى بهم الامر الى أن يقولوا لى كل شئ وهذا سهل لاننى أجنبى .

- حسنا ، انها سألتنى عن أبوى هذه الفتاة . أرادت أن تعرف اذا كان أبوها هو الذى قتل أمها أو اذا كانت الام هى التى قتلت أباها .

- أرجو المعذرة ...

- أوه .. اننى أعرف أن الامر سخيف .

- أرادت أن تعرف اذا كان أبو ابنتك فى العماد قتل زوجته أو اذا كان العكس هو الذى حدث .

- هو ذلك .

- ولكن .. من منهما القاتل ؟

- عثر عليهما مقتولين بعيار نارى أسفل الشاطئ الصخرى ، وقد حدث هذا منذ خمسة عشر عاما ، ولكن لماذا تأتى وتلقى على أنا هذا السؤال ؟

- لانك تكتبين روايات بوليسية وتعتقد أنك حجة فى علم الاجرام ، وهذا كل ما فى الامر . اذن فالمأساة التى تكلمت عنها مأساة حقيقية .

- طبعا . ولكن من الاوفق أن أطلعك على ما أعرف أولا . ان الامر يتعلق بالليدى رافنسكروفت وزوجها سير اليستير . كانت المرأة الشابة فى المدرسة معى وكنت أعرفها جيدا على الرغم من أننا لم نكن صديقتين حميمتين ، أما هو فكان ضابطا قضى حياته العملية كلها تقريبا فيما وراء البحار . وعندما عاد الى انجلترا اشترى فيللا باقليم كنت وأقام فيها هو وزوجته . وفجأة وقعت المأساة وتكلمت عنها جميع الصحف فى ذلك الحين . وقد تساءل الجميع اذا كان الزوجان قد لقيا حتفهما على يد قاتل أو اذا كان قد اقتتلا . وأظن أن سلاح الجريمة كان مسدسا وكان ملكا لسير

اليستير نفسه .

وأطلعته مسز أوليفر على كل التفاصيل التى تتذكرها وسألها المخبر أخيرا :

- ولماذا أرادت هذه المرأة معرفة ذلك السر الذى يبدو لى من قصتك أنه ظل مستغلقا حتى اليوم .

- هذا هو ما أود معرفته بالذات . أظن أننى أستطيع أن أهتدى الى سليا بسهولة فهى تقيم فى لندن أو ضواحيها بلا ريب . وأظن أنها حصلت على الليسانس وهى ترسل لى بطاقة فى عيد الميلاد وفى مناسبات أخرى نادرة .

- ألم تتزوج ؟

- كلا . ولكن يبدو أنها تنوى الزواج بدسموند بيرتون كوكس ، ابن هذه المرأة التى حدثتك عنها .

- وهى لا تريد هذا الزواج طبعا بسبب هذه القصة القديمة ؟

- هذا هو التفسير الوحيد الذى يبدو مقبولا على كل حال . ولكن فيم تهمها تفاصيل هذه المأساة ؟ .. سواء قتل الاب زوجته أو قتلت الام زوجها ؟.. لا أستطيع أن أرى أبدا ..

- الواقع أننى أجد سؤال مسز بيرتون كوكس غريبا . وهذا أمر يستحق التفكير . لعلها مختلة العقل شيئا ما .. أهى شديدة التعلق بابنها ؟

- طبعا .

- لا ريب أنها تخشى أن يكون للفتاة استعداد وراثى للقتل .

- وكيف أعرف هذا ؟.. يخيل لى أنها تحسب أننى أستطيع أن أقول لها ولكنها لم تذكر لى ما فيه الكفاية . ماذا هناك خلف كل هذا يا ترى ؟.. ما معنى هذا حقا ؟

أجابها بوارو فى صوت بطئ :- ان من الاهمية أن نعرف ذلك .

- هذا هو السبب الذى أتيتك من أجله . أعرف أنك تحب اكتشاف الاسباب الخفية

للامور .

- هل تظنين أن لمسز بيرتون كوكس ميلا خاصا ؟

- أظن انك تريد أن تقول اذا كانت تفضل أن تعرف هل الزوج هو القاتل الحقيقى أم أنه الزوجه . يا الهى !.. ليس لدى أى شعور بأنها تفضل واحدا منهما بالذات .

- حسنا . اننى أفهم معضلتك . انك عائدة من مأدبة سألوك فيها شيئا بدا لك شديد الحساسية وتريدين أن تعرفى أمثل طريقة لمعالجة هذه المسألة .

- ما هى أمثل طريقة فى رأيك ؟

- ليس من السهل أن أبدى رأيى لاننى لست امرأة ، ولكن لندرس الموقف معا . جاءتك امرأة غريبة عنك لا تعرفينها قبل ذلك ، وعرضت عليك معضلة دون أن تقدم لك دافعا حقيقيا . أظن أن هناك ثلاثة أشياء يمكنك أن تقدمى عليها . أولها أن تبعثى الى هذه السيدة رسالة تقولين لها فيها : " اننى آسفة ، ولكننى لا أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة " . أو شيئا من هذا القبيل . وثانيها هو أن تتصلى بابنتك فى العماد وأن تسأليها نفس السؤال الذى ألقته عليك أم الشاب الذى تنوى الزواج به .

وستعلمين منها هى بالذات اذا كانت قد عقدت العزم على أن تتزوجه ، فاذا كان الامر كذلك فهل يعلم خطيبها بمحاولات أمه ؟ وستكون هناك أيضا نقاط أخرى من المهم توضيحها ، مثال ذلك أن تعرفى رأيى الفتاة فى مسز بيرتون كوكس ، وأخيرا يمكنك أن تختارى الحل الثالث ، وهو هذا الحل الاخير الذى أنصحك أن تقدمى عليه حقا .

- أعرف ما تقصد ، وهو يتلخص فى كلمة واحدة .

- هى " لا شئ " .

- نعم . اننى أدرك أن من الجائز أن يكون هذا الحل الثالث هو الافضل ، وهو ألا أفعل شيئا ، ولكن ..

قاطعها بوارو قائلا :- ولكن هناك شيئا اسمه الفضول البشرى .

- أريد فقط أن أعرف السبب الحقيقى الذى دفع هذه المرأة الى أن تأتينى وتلقى على مثل هذا السؤال الغريب . وعندما أعرف هذا الامر أستطيع أن أستريح وأن أنسى هذه المسألة . ولكن قبل أن يحدث هذا فاننى أعرف أننى ..

انه لن يغمض لك جفن ، وبما أننى أعرفك جيدا انك ستهبين من نومك فى منتصف الليل مذعورة وأنه سيخطر بذهنك أغرب الافكار . وهى أفكار يمكنك أن تستغليها على كل حال فى رواياتك .

***

القسم الأول
الأفيال

أجابت مسز أوليفر وقد برقت عيناها :- لعمرى ، أظن أن هذا غير بعيد الاحتمال اذا نحن درسنا المسألة من هذه الزاوية .

- ان الفضول شئ غريب ونحن ندين له بالشئ الكثير . لا أدرى من الذى اخترعه. لعلهم اليونانيون فقد كانوا ينشدون المعرفة وأظن أن ما من أحد قبلهم حاول أن يعرف شيئا . ثم جاء الذين بعدهم فأرادوا أن يعرفوا كافة الاشياء . وهكذا عرفنا السفن والسكك الحديدية والطائرات والقنابل الذرية والبنسلين وأشياء أخرى كثيرة .. نظر شاب الى غطاء وعاء يرتفع تحت ضغط البخار فجاءتنا القطارات ولكن بعد ذلك اضرابات السكك الحديدية .. وكل شئ له محاسنه ومساوئه .

- هل تعتبرنى متطفلة فظيعة ؟

- أبدا . بل على العكس أرى أن فضولك لا يتجاوز الحدود . ولكن دعينا ندرس المسألة جيدا .. هذه المأساة التى تتحدثين عنها ، هل عرفوا أسرارها ؟

- كلا فى الواقع ، خصوصا وأن الزوجين كانا يبدوان متفاهمين تماما . ولا أظن أن فى الاستطاعة ، بعد كل هذه السنوات اكتشاف ذلك .

أجاب بوارو :- بل هذا ممكن . أشعر أننى جدير بأن أعرف أسرارها . أستطيع

بفضل أصدقاء لهم وضعهم أن أعرف نتائج التحقيق ، بل أستطيع أن أصل الى ملف القضية نفسه .

سألته مسز أوليفر وقد برقت عيناها بوميض الامل :

- هل تستطيع ذلك حقا ؟

- طبعا . ولكن سيقتضى هذا وقتا معينا طبعا .

- فى هذه الحالة ، أعنى اذا أنت قبلت ، فيجب أن أتولى بضعة أشياء بنفسى . اننى أحب أن ألتقى كذلك بالشاب الذى ستتزوجه .

- اتفقنا . هذا أمر رائع .

قال بوارو وهو يتنهد :- هذه مسألة تنتمى الى الماضى . لعلها كانت قضية مشهورة فى ذلك الحين ، ولكن ما هى القضية المشهورة اذا أمعنا التفكير ؟ .. طالما لم تنته الى خاتمة مذهلة فان أحدا لن يتذكرها بعد ذلك .

أجابت مسز أوليفر :- هذا صحيح . لقد تكلمت الجرائد عنها كثيرا فى ذلك الوقت ثم أمحى كل شئ .

- نعم ان المعضلة عويصة ، واذا كان البوليس قد عجز عن اكتشاف الدافع عند وقوع المأساة فمعنى ذلك أن الامر لم يكن سهلا .

- أستطيع على كل حال أن أذهب لرؤية ابنتى فى العماد ، وهذا ما تتمنى مسز بيرتون كوكس أن أفعله بكل تأكيد . ولا ريب أنها تعتقد أن الفتاة تعرف نقاطا معينة من المسألة وأعترف أن هذا جائز ، فان الاولاد قمينون باكتشاف أغرب الاشياء .

- كم كان سنها عندما مات أبوها ؟

- أظن أنها كانت فى التاسعة أو العاشرة من عمرها . ويخيل لى أنها كانت فى مدرسة داخلية عندما وقعت المأساة .

- من الجائز أنها تكلمت عن هذه المسألة مع خطيبها وتكلم الشاب بعد ذلك عنها

مع أمه . ولا يدهشنى أن تكون مسز بيرتون قد حاولت استجواب الفتاة وصدتها هذه الأخيرة . وعندئذ خطر لها أن مسز أوليفر قد تستطيع أن تحصل على معلومات ، على الرغم من أننى لا أستطيع أن أفهم مدى أهمية هذه المعلومات بالنسبة لها . ومع أمعان الفكر يبدو أن الناس ، على حد التعبير المبهم الذى استخدمته أنت ، يجب أن يظهروا نوعا من التعاون وذلك على شرط أن يتذكروا ، ولكن هل يتذكرون حقا ؟

- كنت أفكر الان فى الافيال .

- الافيال ؟

وقال بوارو يحدث نفسه مرة أخرى أن مسز أوليفر أكثر الناس غموضا بدون شك .

وقالت الكاتبة :- بدأت أفكر فيها أثناء الغداء .

سألها بوارو مشدوها :- ولماذا ؟

- الواقع أننى كنت أفكر فى الاسنان ، فانه اذا كانت لك أسنان صناعية وحاولت أن تأكل أشياء معينة فلن تفلح فى ذلك وانما يجب أن تعرف ماذا يمكنك أن تأكل وما هى الانواع التى ينبغى أن تتجنبها .

أجاب المخبر السرى وهو يتنهد :- اننى أعرف ذلك .

- ولم ألبث أن قلت لنفسى أن الأسنان المصنوعة من العظم ليست من النوع الجيد وأن الكلاب لها أسنان من العاج وفكرت بعد ذلك فى حيوانات أخرى لها أسنان من العاج كفيل البحر مثلا وحملنى كل هذا الى التفكير فى الأفيال وفى أنيابهم العاجية .

لم ير بوارو ما ترمى إليه محدثته بكل ما تقدم ولكنها استطردت تقول :- وشيئا فشيئا وصلت الى هذه النتيجة ، وهى أنه يجب علينا أن نبحث عن الاشخاص الذين يشبهون الأفيال فانه يقال أن الأفيال لا تنسى أبدا .

- الواقع أننى سمعت هذا القول قبل ذلك .

واسترسلت مسز أوليفر تقول :- ان الأفيال لا تنسى ، ولعلك تعرف بلا ريب قصة

الترزى الهندى الذى دنا من فيل وشكه بابرة فى خرطومه ، فانهما عندما التقيا للمرة الثانية بعد ذلك ملأ الفيل فمه بالماء وأغرق به عدوه . ومع ذلك فقد مر على الحادث الاول سنوات كثيرة ولكن الفيل لم يكن قد نسى . وما أحتاج اليه الان هو البحث عن بعض الأفيال .

– لست متأكدا من أننى أفهم ما تقصدين . من الذى تعنين بالأفيال ؟.. ان من يسمعك أنك ستذهبين لكى تستمدى معلوماتك من حديقة الحيوان .

– ليس هذا تماما . ولكن هناك أشخاصا يتمتعون بذاكرة قوية كذاكرة الفيل . والواقع أنه يحدث كثيرا أن يتذكر بعض الناس أشياء عجيبة . وفيما يتعلق بى فان هناك أحداثا أتذكرها جيدا ، مثلا حفلة عيد ميلاد حضرتها وأنا فى سن الخامسة ، وكانت هناك كعكة كبيرة وردية اللون قائمة فوق عصفور من السكر . وأتذكر أيضا اليوم الذى طار فيه عصفور الكناريا الذى كنت أحبه والذى بكيت من أجله كثيرا ، وكذلك اليوم الذى دخلت فيه مزرعة فجأة ووجدت نفسى تقريبا تحت ثور ضخم وتلك النزهة التى جمعنا أثناءها ثمار التوت . وقد تجرحت يداى وذراعاى بصورة عجيبة ، ولكننى جمعت فى ذلك اليوم من التوت أكثر مما جمعه زملائى كلهم ، وكنت عندئذ فى نحو التاسعة من عمرى . ولكن ليس من الجدوى أن أحاول تذكر أكثر من هذا . اننى حضرت عشرات الزيجات ولكن زيجتين منهن فقط تركتا فى نفسى أكبر الاثر ، احداهما فى نيوزفورست وكنت شاهدة الزواج وأظن أن التى تزوجت واحدة من بنات أعمامى ، ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أتذكر المدعوين ، والثانية زواج أحد أصدقائى ، وكان ضابطا فى البحرية وقد أوشك على الغرق ذات يوم ولم يشأ أهل الفتاة أن يزوجوها له فى بادئ الامر لهذا السبب . وها أنت ترى أن هناك أحداثا يتذكرها المرء جيدا .

قال بوارو :– بدأت أفهم الان .. ستحاولين اذن البحث عن الأفيال .

- نعم . سأحاول أن أتذكر الاشخاص الذين كنت أعرفهم عندما وقعت المأساة .. الاشخاص الذين كانت لهم تقريبا علاقات بآل رافنسكروفت والذين خالطوهم عندما كانوا فى الهند أو فى أى مكان آخر . ليس هناك أى ضرر من البحث عن الاشخاص الذين لم أرهم منذ وقت طويل لانه يسرهم دائما أن يروا شخصا يظهر من الماضى ، وسيتحدثون معى طبعا عن الاحداث التى وقعت فى ذلك الوقت .

قال بوارو :- هذا أمر مهم جدا . وأظن أنك تصلحين لمثل هذا النوع من الابحاث . انطلقى فى طريق الأفيال اذن فمن الجائز أن يتذكروا ، وأتمنى لك رحلة موفقة .

***

الفصل الثالث

- هل لك أن تبحثى لى عن دفتر عناوينى من فضلك يا مس ليفنجستون .

- انه على مكتبك يا سيدتى . فى الركن الايسر .

- أوه ، اننى أعلم . ولكننى أريد دفتر عناوينى الخاص بالسنة الماضية وكذلك الخاص بالسنة التى قبلها اذا أمكن .

- من الجائز أنك ألقيت بهما فى سلة المهملات .

- كلا . اننى لا ألقى بدفاتر عناوينى فى سلة المهملات أبدا ، لاننى قد أحتاج اليها . ستجدينه من غير شك فى أحد أدراج مكتبى بغرفة النوم .

كانت مس ليفنجستون جديدة حلت محل مس سدجويك .. وكانت هذه الاخيرة درة ثمينة .. كانت تعرف دائما أين تضع مسز أوليفر حاجاتها ، بل كانت تعرف الاماكن التى قد تكون ألقتها فيها ، وكانت تتذكر أسماء الاشخاص الذين كتبت لهم مسز أوليفر خطابات رقيقة وكذلك أسماء الاشخاص الذين يدفعونها الى أن ترسل لهم رسائل بغيضة . نعم ، كانت مس سدجويك درة ثمينة .. تقريبا كذلك الكتاب الضخم الذى لم يكن يخلو منه بيت فى عهد الملكة فيكتوريا ، والمعروف باسم " الموسوعة الكاملة " . فقد كان فيه كل شئ يهم ربة البيت .. كيف تتصرف لاخفاء آثار المكواة

من الملابس والطريقة لاعداد مايونيز لذيذ من آخر غير طازج والعبارات التى تستخدمها فى مخاطبتها للقسيس وآلاف الاشياء الاخرى . كانت ربة البيت تجد كل شئ فى هذه الموسوعة الثمينة التى كانت لا تفارق فيما سبق عمتها أليس .

حسنا ، كانت مس سدجويك هى الاخرى موسوعة معارف حقيقية ، ولم تكن مس ليفنجستون على غرارها أبدا . فقد كانت هذه الاخيرة تحملق فيك بعينيها المستديرتين الباهتتين فى وجهها الطويل ذى البشرة المعقدة وهى مقتنعة تماما بأنها كفء وقدوة ولكن مسز أوليفر كانت مقتنعة بعكس ذلك تماما ، فان سكرتيرتها الجديدة لم تكن تتذكر الا الاماكن التى وضع فيها مخدوموها السابقون حاجاتهم ، وكانت تحسب أن مسز أوليفر يجب أن تتبع نفس وسائلهم فى التنسيق والترتيب .

وعادت الكاتبة تقول فى عزم وتصميم الفتى المدلل :

- ان الدفتر الذى أريده هو دفتر عناوين سنة ١٩٧٠ وكذلك الدفتر الخاص بسنة ١٩٦٩ . ابحثى عنهما بأسرع ما يمكن من فضلك .

أجابت السكرتيرة وهى تدير البصر حولها فى غموض كالشخص الذى يبحث عن شئ لم يسمع عنه أبدا :

- حسنا ياسيدتى .

قالت مس أوليفر تحدث نفسها :- اذا لم تعد مس سدجويك فاننى سأجن .

وراحت مس ليفنجستون تبحث فى الادراج ، الواحد بعد الاخر . وقالت أخيرا فى ارتياح :

- ها هو دفتر السنة الماضية .. دفتر سنة ١٩٧١ . انه حديث هو الاخر

- ولكننى لم أطلب منك دفتر سنة ١٩٧١ .

وومضت ذكرى مبهمة فى ذهن مسز أوليفر فقالت :

- ابحثى فى صندوق الشاى الذى فوق الطاولة .

– ولكن دفتر العناوين لا يمكن أن يكون فى صندوق الشاى يا سيدتى .

– بل يمكن أن يكون فيه بكل تأكيد . أظن أننى أتذكر ...

وأقصت مس ليفنجستون بحركة من يدها وأسرعت الى الطاولة ورفعت الغطاء عن صندوق الشاى وقالت وهى تخرج منه دفترا صغيرا أسمر اللون :– ها هو .

ومضت بعد ذلك الى مكتبها حيث جلست وهى تقول :– يكفى هذا فى الوقت الحاضر يا مس ليفنجستون ... ومع ذلك .. كلا . أرجو أن تبحثى لى عن البوم الصور الخاص بأعياد الميلاد .

– لم أكن أعرف ...

– اننى لا أستخدمه فى الوقت الحاضر . ولكنه عندى منذ وقت طويل . بدأته وأنا طفلة صغيرة . وأظن أنه موجود فى الغرفة المنخفضة التى تخصصها أحيانا للضيوف عندما يأتى الاولاد لقضاء الاجازات . ابحثى فى المكتب الصغير بجوار الفراش .

تنهدت مس أوليفر فى ارتياح وهى ترى السكرتيرة تبتعد وراحت تقلب صفحات دفتر العناوين المعطر برائحة شاى سيلان .

رافنسكروفت ، سليا رافنسكروفت ، ١٤ شارع فيتاكر . كانت تقيم هناك فى وقت من الاوقات ولكنها وجدت عنوانا آخر هو شارع ستراند بجوار جسر كيو .

وقلبت بضع صفحات أخرى ثم قالت فى صوت خافت :

– آه . هذا أحدث عنوان . شارع جروف ... أظن أن هذا الشارع يقع على مقربة من طريق فولهام ... هل عندها رقم تليفون ؟ ... انه غير ظاهر ويكاد يمحى .. ولكننى أعتقد ... نعم .. أعتقد أنه هو .... فلاكسمان ... مهما يكن من أمر فاننى أستطيع أن أجرب ..

ومدت يدها نحو التليفون ، وفى نفس اللحظة فتح الباب أمام مس ليفنجستون وقالت هذه الأخيرة :

- ألا تظنين ..

قاطعتها مسز أوليفر قائلة :- انني عثرت على العنوان الذى أبحث عنه ... حاولى أن تعثرى لى على ألبوم الصور ... ان الامر هام .

- أليس من الممكن أن تكونى قد تركته فى البيت القديم عندما انتقلت الى هنا ؟

- كلا بالطبع ... استمرى فى البحث عنه .

ولم يسعها الا أن تقول بعد أن أغلقت السكرتيرة الباب خلفها :- ولا تتعجلى على الخصوص .

ثم أدارت الرقم وانتظرت بضع لحظات ومضت بعدها ففتحت الباب وصاحت عبر السلم :

- يمكنك أن تبحثى فى الصندوق الاسبانى ... أعنى الصندوق المكسو بالقماش... لا أعرف مكانه بالتحديد .. ربما تحت منضدة البهو ...

لم تسفر المكالمة الاولى عن أية نتيجة فقد وقعت على امرأة تدعى مسز سميث بوتر لم يكن لديها أية فكرة عن رقم التليفون الجديد للساكنة التى كانت تشغل المسكن قبلها . وعادت الكاتبة فغرقت من جديد فى دفتر مذكراتها ولم تلبث أن اكتشفت عنوانين آخرين شطبا على عجل وأصبح من المتعذر قراءتهما على هذه الصورة ، ومع ذلك ففى المحاولة الثالثة التى قامت بها لفك طلاسمهما بدا اسم رافنسكروفت يكاد لا يقرأ يخرج من الشطب والزيادات . وأدارت رقما ثالثا ولم يلبث أن أجابها صوت بأنه يعرف سليا واستطرد يقول :

- نعم ، ولكنها لا تقيم هنا منذ سنوات . وآخر مرة سمعت عنها أظنها كانت فى نيوكاسل .

- يا الهى . ولكن ليس عندى هذا العنوان .

أجابها الصوت النسائى فى آخر الخط : - وهو ليس عندى أنا الاخرى . يبدو لى

أنها انتقلت لكى تلتحق بوظيفة سكرتيرة لطبيب بيطرى .

لم يكن هذا بالأمر المشجع . ولجأت مرة أخرى الى دفتر مذكراتها وراحت تقلب صفحاته ولم تلبث أن وجدت عنوانا آخر وبجواره رقم تليفون . وأجابها صوت يقول :

- نعم ، طبعا . أنها فتاة قديرة جدا . اشتغلت عندى سنة ونصف وكنت أرجو أن تبقى معى ولكنها استقالت لكى تعمل مع طبيب بشارع هارلى . لحظة واحدة ... أظن أن عنوانه موجود لدى . أنه فى مكان ما فى ايسلنجتون .

وبعد لحظة ومن غير أن تثبط عزيمتها أدارت مسز أوليفر رقما آخر وأجابها صوت أجنبى اللكنة :

- مس سليا رافنسكروفت ! .. نعم ، أنها تقيم هنا . أنها تقطن فى غرفة بالطابق الثانى ولكنها خرجت ولن تلبث أن تعود .

أعادت مسز أوليفر السماعة وهى تتنهد . وظهرت مس ليفنجستون فى هذه اللحظة تغطيها طبقة من التراب وخيوط العنكبوت وتحمل بين ذراعيها عددا من المجلدات منظرها لا يشجع وقالت فى لهجة عتاب :

- لا أعرف اذا كانت هذه السجلات يمكن أن تكون ذات نفع لك لان عهدها يرجع الى سنوات كثيرة ...

- هذا جائز على كل حال .

- هل هناك شئ آخر تريدين أن أبحث لك عنه .

- لا أظن . ضعى هذه المجلدات على الاريكة من فضلك . سأفحصها الليلة .

قالت السكرتيرة وقد زادت لهجتها عتابا : - حسنا . ولكننى سأنفس عنها الغبار أولا .

- هذه مكرمة منك .

وبذلت كل جهدها لكى لا تستطرد قائلة :- وبهذه المناسبة نفضى الغبار عن نفسك

أنت أيضا ، فان هناك ستة من خيوط العنكبوت فى أذنك اليمنى وحدها .

وألقت نظرة على ساعتها ثم طلبت أيسلنجتون :

- مس سليا رافنسكروفت ؟

وفى هذه المرة أجابها صوت أنجلو سكسونى بدا لمسز أوليفر فظا خشنا :- نعم ، أنا هى .

- لا أدرى اذا كنت تتذكريننى . أنا مسز أوليفر . لم نلتق منذ وقت طويل ولكننى أمك فى العماد .

- أوه ، طبعا . أننى لم أنس .

- هل أستطيع أن أراك ؟ أتقبلين مثلا أن تأتى لتتناول الغداء معى أو ...

- الحق أن هذا يتعذر على بسبب عملى ، ولكننى أستطيع القدوم الليلة اذا أردت، فى السابعة والنصف أو الثامنة ، وبعد ذلك لدى موعد ، غير أننى ...

- اذا أمكنك ذلك فاننى أكون سعيدة جدا .

- حسنا . اتفقنا .

- اليك عنوانى اذن .

أعادت مسز أوليفر السماعة وسطرت بضع كلمات فى دفترها ثم رفعت عينيها فى اعياء الى مس ليفنجستون التى ظهرت من جديد وهى تنوء تحت ثقل ألبوم ضخم وتقول..

- اننى اتساءل اذا كان هذا هو ما تريدين .

- كلا . ليس هذا ما أريد . ان الذى بين يديك مجلد يضم طرقا عديدة للطهى .

- أوه يا الهى !

قالت مسز أوليفر وهى تأخذ المجلد :- يمكننى على كل حال أن أقرأ بعضها . ولم لا ؟ ... وبعد امعان من التفكير أظن أن الالبوم الذى نبحث عنه موجود فى دولاب

البياضات ، بجوار غرفة الحمام على الرف العلوى فوق المناشف . اننى أضع فى ذلك الدولاب كتبا وأوراقا فى بعض الاحيان . انتظرى . سأذهب وأتحقق من ذلك بنفسى .

وبعد عشر دقائق كانت مسز أوليفر تقلب صفحات ألبوم قديم باهت فى حين وقفت مس ليفنجستون تنتظر على عتبة الباب .

وبعد لحظة رفعت الكاتبة عينيها وقالت :- يمكنك أن تبحثى أيضا فى الدولاب الموجود بغرفة الاستقبال ، أعنى الدولاب القديم . حاولى أن تجدى فيه دفاتر عناوين أخرى . وأظن أننى لن أكون بعد ذلك بحاجة اليك اليوم .

اختفت مس ليفنجستون وتمتمت مسز أوليفر وهى تتنهد :- اننى أتساءل من منا أسعد حالا من الأخرى ، هى بانصرافها عنى أم أنا بتخلصى منها .

وتناولت السماعة من جديد وأدارت رقم هركيول بوارو :

- أنا أريان أوليفر . أهذا أنت يا مستر بوارو ؟... هل فعلت شيئا ما .

- أرجو المعذرة ... فعلت شيئا ؟... ماذا تقصدين ؟

- أى شئ ... بخصوص المسألة التى تكلمنا عنها أمس .

- اننى أتخذت بعض التدابير لكى أقوم باجراءات معينة .

قالت مسز أوليفر ، وكان لها رأى معروف عن الطريقة التى يواجه بها الرجال الأمور :

- ولكنك لم تقم بها بعد ؟

- وأنت يا سيدتى العزيزة ؟

- اننى كنت مشغولة جدا .

- آه . ولكن لاريب أنك تصرفت من ناحيتك ؟

- اننى جمعت أفيالا ، ولعلك تفهم ما أعنيه .

- أظن أننى أفهم .

– ولكن ليس من اليسير التعمق فى الماضى . ولك أن تستغرب عن عدد الناس الذين نتذكرهم عندما نقرأ بعض الاسماء ، وتلك الاشياء الحمقاء التى يكتبونها فى البومات أعياد الميلاد . لا أستطيع أن أفهم لماذا كنت أتمسك بكل هذه التعليقات عندما كنت فى السادسة أو السابعة عشرة من عمرى أو حتى عندما كنت فى الثلاثين..

– هل أثمرت أبحاثك ؟

– ليس تماما ، ولكننى أعتقد مع ذلك أننى أمضى فى الطريق الصحيح ، وبهذه المناسبة اتصلت بابنتى فى العماد تليفونيا وستأتى لرؤيتى الليلة فيما بين السابعة والثامنة ، هذا اذا وفت بكلمتها ، فاننا مع شباب اليوم لا يمكن أن نعرف أبدا . لا نستطيع الاعتماد عليهم على الاطلاق .

– هل بدت مسرورة بمكالمتك ؟

– لا أدرى . أظنها بدت كذلك ولكن فى اعتدال . كانت لهجتها قاطعة بعض الشئ . وأتذكر الان أننا فى لقائنا آخر مرة ... وأظن أنه مضت على ذلك عشر سنوات... كانت مخيفة شيئا ما .

– مخيفة ؟... ما هو المعنى الذى تعطينه لهذه الكلمة ؟

– اننى لا أحسن التعبير بلا ريب . انما عنيت أنها بدت خائفة منى أكثر مما كنت أخاف أنا منها .

– من رأيى أن هذه يمكن أن تكون علامة طيبة .

– حقا ؟

– اذا كان الناس قد عقدوا العزم على أن لا يحبوك ، واذا اقتنعوا بأنهم أصبحوا لا يحبونك فانه يسرهم عندئذ أن يبدو منهم ما يجعلك تشعرين بذلك . وهم اذ يتصرفون هكذا تفلت منهم بعض المعلومات التى كانوا يحرصون على اخفائها لو أن

صلاتهم معك كانت ودية .

تعنى أنهم يتملقوننا فى هذه الحالة ... لا ريب أنك على حق ... وفى هذه الحالة الاخيرة يذكرون لنا الاشياء التى يعتقدون أنها تسرنا فى حين أنهم فى الحالة الاولى يحاولون أن ينطقوا بما يكدرنا ويسئ الينا . أننى أتساءل اذا كانت سليا هكذا . اننى أتذكر أنها عندما كانت فى الخامسة كانت تلقى بأحذيتها فى وجه مربيتها .

وبعد أن انتهت المحادثة جلست مسز أوليفر على الأريكة لكى تقلب ذكريات الماضى التى تكدست فوقها .

***

الفصل الرابع

كانت تقف بالباب فتاة هيفاء وبقيت مسز أوليفر لحظة جامدة لا تتحرك .. أعذه سليا ؟.. كان ينطلق منها احساس عجيب بالحيوية .

وقالت مسز أوليفر :- أدخلى يا سليا .. أظن أننى رأيتك آخر مرة فى حفلة زواج وكنت أنت شاهدة العروس . كنت تلبسين فستانا بلون المشمش .

- نعم ، وهو أبغض فستان ارتديته فى حياتى . كان ذلك فى حفلة زواج مارتا ليجهورن .

- ومع ذلك فانك كنت أكثر الموجودين أناقة .

- ظريف منك أن تقولى لى هذا .

أجلست مسز أوليفر زائرتها وأخذت قنينة من الكريستال وهى تقول :

- هل لك فى كأس من الشيرى . أم تفضلين شيئا آخر .

- ان الشيرى لذيذ . شكرا لك .

- أظن أنك تستغربين وجودك هنا الليلة . ولا ريب أنك دهشت لمكالمتى التليفونية . اننى لست أشبينة دقيقة جدا .. وأعترف بذلك .

- ولماذا تريدين أن تكونى كذلك وأنا فى هذه السن .

- نعم ، هذا صحيح . تأتى لحظات معينة تنتهى فيها الالتزامات ، ومع ذلك فاننى أشعر أحيانا بأننى لم أقم بالتزاماتى تماما بل اننى أظن أننى لم أحضر حفل تثبيت عمادك .

ابتسمت سليا ابتسامة حلوة فى حين استطردت مسز أوليفر تقول :

- ولكن ما علينا .. سأخبرك الان لماذا أردت أن أراك . ان المسألة غريبة جدا . اننى لا أذهب كثيرا الى الحفلات الادبية ، ولكن حدث أننى اشتركت فى احداها أمس .

- أعرف ذلك فقد قرأت النبأ فى الجرائد .. ورأيت اسمك .

- نعم . وكم كنت أتمنى لو اننى لم اشترك فيها .

- هل تضايقت كثيرا ؟

- تماما . فقد وقع شئ أثار جزعى . والغريب أن هذا الشئ له علاقة بك من ناحية ما .

قالت سليا وهى تشرب جرعة من الشيرى : إنك تثيرين دهشتى .

- كانت هناك امرأة هجمت على . على الرغم من أننى لا أعرفها ولا تعرفنى هى الاخرى .

- أظن أن هذا يحدث لك كثيرا .

- طبعا . وهذه احدى عبوديات الحياة الادبية .

- كنت فى وقت ما سكرتيرة كاتب روائى وأعرف هذا الامر قليلا .

- ولكن الامر كان مختلفا هذه المرة ، فقد بادرتنى تلك المرأة تقول بدون تمهيد "أظن أن لك ابنة فى العماد اسمها سليا رافنسكروفت " .

- هذا غريب وفيه شئ من الخشونة يبدو لى أنه كان يمكنها أن تصل الى هذا السؤال تدريجيا ، ومهما يكن فماذا يهمها من أمرى . هل هناك ما تشكوه منى ؟

- لا علم لى بذلك .

- أهى احدى صديقاتى ؟

- لا أدرى .

ساد الصمت وشربت سليا جرعة أخرى من الشيرى وهى تنظر الى مسز أوليفر فى اهتمام وقالت أخيرا :

- انك تثيرين حيرتى حقا . واعترف بأننى لا أفهم حقا ماذا تقصدين ؟

- أرجو أن لا تغضبى .

- أغضب ؟.. ولماذا ؟

- لانك قدتحسبين أن ما سأقوله لك لا يعنينى وانه كان يجدر بى على كل حال أن أحتفظ بهذا الامر لنفسى فان المرأة التى كلمتك عنها تدعى مسز بيرتون كوكس .

- أوه .

- وقد أخبرتنى أنها تعتقد أن ابنها ينوى أن يتزوجك .

رفعت سليا حاجبيها وقست نظرتها بصورة غير ملحوظة .

- وتريدين أن تعرفى اذا كان هذا صحيحا أم لا ؟

- ليس هذا من شأنى ولا أذكر لك هذا الامر الا لانه أول شئ ذكرته لى . كانت تظن ، نظرا الى انك ابنتى فى العماد اننى استطيع أن أستقى منك بعض المعلومات وأظن أنها كانت تتوقع منى أن أذهب اليها بعد ذلك وأعيد على سمعها ما قد أعرفه..

- وما هى المعلومات التى كانت تريدها منى ؟

- أخشى حقا ان ما سأقوله لن يروق لك ، لان سؤالها لم يرق لى عندما ألقته على والواقع أننى وجدت أنه لابد أن تكون على شئ من الوقاحة لكى تلقيه على ثم أن طريقتها كانت لا تغتفر . ألقت على نص هذا السؤال بالتقريب : " هل يمكنك أن تعرفى اذا كانت أمها هى التى قتلت أباها أو اذا كان العكس هو الذى حدث ؟

- سألتك هذا السؤال ؟.. من غير أن تعرفك شخصيا ؟

- الواقع أننا لم نلتق أبدا قبل ذلك .

- ألم تستغربي الامر ؟

- أظن أنني ما كنت لاستغرب أي شئ تنطق به لانني وجدتها بغيضة جدا .

- لم تخطئ في شعورك هذا .

- وستتزوجين ابنها .

- لا أدري .. ولكن النية متجهة الى ذلك .. هل تعرفين .. المسألة التي حدثتك عنها ؟

- لا أعرف أكثر مما يعرفه كل الذين كانت لهم علاقات غامضة بأبويك .

- ان الامر بسيط .. في الظاهر على الاقل . أقام ابواي بعد عودتهما من الهند في فيللا اشترياها في مقاطعة كنت ، وخرجا ذات يوم الى الشاطئ في نزهتهما العادية ولم يعودوا . وعثروا عليهما ميتين وقد أصاب كل منهما عيار ناري . وكان المسدس الذي عثروا عليه بجوارهما ملكا لابي . ولم يكن هناك ما يشير الى أن الامر قد يتعلق بانتحار مزدوج أو اذا كان أحدهما قتل الاخر ثم انتحر بعد ذلك ، ولكن لعلك تعرفين كل هذا .

- انني أجهل التفاصيل لان هذه المأساة وقعت منذ وقت طويل . لاريب أنك كنت في الثامنة أو العاشرة من عمرك في ذلك الوقت .

- أوه ، نعم .. تقريبا .

- كنت أنا في ذلك الوقت في الولايات المتحدة حيث ذهبت لالقاء بعض المحاضرات . وقد قرأت نبأ القضية في الجرائد فحسب ، وقد كتبوا عنها بالذات لغموضها وتعذر معرفة الوقائع الحقيقية والدافع الذي بدا أنه لا وجود له . وقد اهتممت طبعا بالقضية لانني عرفت أبويك منذ بضع سنوات قبل ذلك ، وخصوصا أمك لانها

كانت زميلتى فى الكلية وفرقتنا الحياة بعد ذلك فتزوجت أنا وانتقلت هى من ناحيتها الى الهند مع زوجها . ولكنها طلبت منى أن أكون أما فى العماد لاحد أولادها . وكنت لا أراها بالطبع الا فى فترات بعيدة لأنهما كانا لا يبقيان فى انجلترا كثيرا . أما أنت فقد كنت ألتقى بك كثيرا .

– نعم واننى أتذكر انك كنت تأتين وتأخذيننى من المدرسة الداخلية فى عطلة نهاية الاسبوع وفى الاجازات وتمضين بى الى المطاعم حيث كنا نتناول ما لذ وطاب من الطعام..

– كنت طفلة غريبة .. وكنت تحبين الكافيار .

– وما زلت أحبه على الرغم من أنهم لا يقدمونه لى كثيرا .

– وكما يمكن أن تتصورى ذلك فقد روعنى النبأ الذى قرأته كل الروع ، وقيل فى ذلك الوقت أن أبويك كانا على أتم وفاق وأنهما كانا متفاهمين دائما وأن الدافع غير معروف . ولم يكن هناك فى الظاهر ما يدل على أى تدخل فى الخارج . وقد روعنى النبأ كما قلت لك ثم أمحى كل ذلك من ذهنى ليعود من جديد بعد ذلك بسنوات عندما رأيتك . ولكننى لم أتحدث معك عن ذلك بالطبع .

– وقد امتننت لك جدا لذلك . كنت طيبة معى دائما ، وكنت تأتيننى بهدايا ثمينة . وأذكر على وجه الخصوص تلك الهدية التى جئتنى بها عند بلوغى سن الواحدة والعشرين ثم أنك كنت متفاهمة جدا ومختلفة عن هؤلاء الاشخاص الذين لا ينقطعون عن القاء الاسئلة ويريدون أن يعرفوا دقائق حياتك .

– ان الفضول فى طبع الانسان . ولكن يجب أن تعرفى الان أن الذى أغاظنى من أمر مسز بيرتون كوكس هو أنها كانت غريبة عنى كلية وأننى لم أفهم سبب سؤالها لانه لا شأن لى به الا اذا كان ..

– الا اذا كانت له صلة بمشروع زواجى بدسموند ؟

- نعم ، هذا جائز . ولكن فيم يعنيها هذا ؟

- بل ان كل شئ يعنيها بالذات .

- أرجو أن لا يكون ابنها على غرارها .

- أوه ، كلا . اننى أحب دسموند ، وأظن أن ديسموند يحبنى هو الاخر .

- أيحب أمه جدا ؟

- لا أدرى . ليس فى نيتى على كل حال أن أتزوج فى الوقت الحاضر . ليست لى رغبة فى ذلك أبدا . ولكننى أريد أن أعرف .. اذا زودتك بالرد على السؤال الذى ألقته عليك مسز بيرتون كوكس فهل تذهبين اليها وتنقلينه اليها ؟

- كلا . أبدا . اذا التقيت بها فسأقول لها بصراحة أن الامر لا يعنينى ولا يعنيها وأنه ليس فى نيتى أن أذهب لاستجوابك.

- كنت أعرف مسبقا اننى استطيع أن اعتمد عليك . ولهذا السبب لا يضايقنى أبدا أن أقول لك ما أعرفه .

- ليس هناك ما يضطرك الى هذا على الاطلاق يا سليا ، ولاحظى أننى لم أسألك شيئا .

- كلا . ولكننى سأعطيك الرد على كل حال ، وهو يتلخص فى كلمة واحدة هى : لا شئ .. او لا شئ تقريبا .

قالت مسز أوليفر فى تفكير :- لا شئ .

- لم أكن فى البيت عندما وقعت المأساة و ..

- أعرف ذلك . ثم انه نظرا لصغر سنك فى ذلك الوقت كان من المدهش أن تكونى على علم بأى شئ .

- ومع ذلك فانه يهمنى أن أعرف شعورك . هل تظنين انه كان يجب على منطقيا أن أتذكر كل هذا .

- لو انك كنت فى البيت لكان من المنطق طبعا أن تتذكرى بعض الاشياء ، فان الاولاد والاحداث يراقبون ولهم ذاكرة قوية ويعرفون فى أغلب الأوقات أمورا لا يعرفها الكبار ولكنها أمور يترددون عادة فى ذكرها للمحققين .

- ماذا كان رأى البوليس فى ذلك الوقت ؟.. لم أقرأ أبدا تقرير التحقيق .

- أظن ان البوليس اعتقد ان المسألة انتحار مزدوج ، ولكننى لا أظن أنه حدس أبدا الدافع الذى دفع أبويك الى هذا العمل .

- هل تريدين أن تعرفى شعورى ؟

- هذا الا اذا كنت لا تريدين اطلاعى عليه .

- انك تكتبين روايات ينتحر فيها بعض الاشخاص أحيانا أو يتقاتلون تقريبا وتدفعهم أسباب لمثل هذا التصرف ، ولاريب أن هذه المسألة تهمك ؟

- اننى أسلم بهذا طواعية ، ومع ذلك فلا أريد لاى سبب أن أسئ اليك فى محاولتى لمعرفة الاحداث التى لا شأن لى بها على كل حال .

- طالما تساءلت كيف لا أعرف الا القليل مما كان يدور فى البيت . صحيح اننى كنت فى مدرسة داخلية عبر البحار ، واننى عندما وقعت المأساة لم أكن قد رأيت أبوى منذ وقت طويل . كانا قد جاءا لرؤيتى ذات مرة بسويسرا وهذا كل شئ ، ولم ألحظ فيهما أى تغيير .. ربما كان قد ظهر عليهما الكبر شيئا ما . صحيح أن أبى كان يشكو من المرض ولا أدرى أن كان القلب هو الذى أخذه الوهن أو أنه كان يشكو من شئ آخر . أما أمى فكانت تبدو عصبية .. كلا و لم تكن نورستانية بمعنى الكلمة ، ولكن كانت تشغلها صحتها هى الاخرى . ومع ذلك فاننى لم ألحظ شيئا غير عادى . وعلى كل حال كان يبدو أنهما على وفاق تام .

- لا أظن فى الواقع أن هناك ما يقيدنى فى استعادة الاحداث أكثر من ذلك . لماذا نحاول أن نعرف . لقد حفظت القضية وأصبحت ملكا للماضى البعيد ، وكان صدور

الحكم بأن المسألة انتحار مزدوج ، مرض على كل حال . لم يكن هناك ما يثبت أن فى الامر جريمة قتل .

– لو أنه كانت هناك جريمة قتل فيبدو لى أن من المنطق أن نظن أن أبى هو القاتل، لان من الطبيعى أن ننحو هذا النحو ، أليس كذلك ؟.. ولعل كلمة طبيعى ليست الكلمة المناسبة ولعله ينبغى أن أقول أن امرأة كأمى لاتستطيع أن تطلق رصاصة على أى كائن كان لاننى أعتقد أن المرأة تختار وسيلة أخرى غير المسدس . ومهما يكن من أمر فاننى متأكدة من أنه ليست هناك جريمة قتل ، لا من جانب أبى ولا من جانب أمى.

– كان فى الاستطاعة مواجهة احتمال تدخل خارجى .

– ماذا تقصدين ؟ – من كان يقيم فى البيت فيما عدا أبويك ؟

– خادمة تقوم بالخدمة متقدمة فى السن صماء وضعيفة البصر الى حد كبير وفتاة أجنبية كانت تقوم بدور الوصيفة ، وكانت مربية لى فى وقت من الاوقات . وهى فتاة ظريفة على كل حال . وقد عادت لكى تعنى بأمى بعد خروجها من المستشفى . وهناك خالتى أيضا ولكننى لم أكن أحبها كثيرا . ولا أظن حقا أن أيا من هؤلاء كان يمقت أبوى الى حد الاقدام على قتلهما . ومن ناحية أخرى لم يكن هناك من يستفيد من موتهما فيما عداى أنا وأخى طبعا ، وهو يصغرنى بأربع سنوات . على أننا لم نرث ثروة صغيرة خاصة بها .

– يؤسفنى أننى ربما أكون قد أثرت أشجانك ببعث هذا الماضى البعيد الى ذاكرتك.

– انك لم تثيرى أشجانى أبدا فقد بلغت الان سنا يجب أن أعرف فيها كل شئ خصوصا وأننى كنت أجهل عنهما أشياء كثيرة . حياتهما معا ، وماذا كانا يحبان وبماذا كانا يهتمان وما الذى كان لا يروق لهما . وددت لو أن أعرف عنهما كل هذا ثم لا أعود أفكر فى أمرهما بعد ذلك . – اذن فأنت تفكرين فيهما ؟

حدقت سليا فى اشبينتها لحظة فى صمت ثم قالت فى عزم :– نعم . اننى أفكر فيهما كثيرا ، وأستطيع أن أعترف لك بهذا ، وكذلك دسموند هو الاخر .

الفصل الخامس

لم يكن المطعم الصغير مزدحما واستطاع هركيول بوارو أن يتبين على الفور قامة القوميسير سبنس الضخمة ،ووقف هذا الاخير ليصافحه ثم قال :

- اسمح لى أن أقدم لك كبير المفتشين جارووای .. مستر هركيول بوارو .

كان جارووای رجلا طويل القامة ناحل العود له وجه ضامر وشعر أشيب فى وسط رأسه دائرة صغيرة أصابها الصلع ومظهره العام يجعله يبدو أقرب الى رجال الدين وقال:

- اننى الان على المعاش ولكن ذاكرتى ما زالت قوية وأتذكر بعض الاحداث التى لاريب أن الجمهور نسيها .

وأمسك هركيول بوارو نفسه لكى لا يردد شعار مسز أوليفر :- الافيال لا تنسى .

جلس الرجال الثلاثة حول المائدة وجاءهم الجرسون بقائمة الطعام ، وكان رئيس البوليس سبنس معتادا على هذا المطعم فزودهما ببعض النصائح بخصوص أنواع الطعام، ولزم الرجال الثلاثة الصمت لحظة أمام كئوس الشيرى .

وبدأ بوارو الحديث فقال :- أول كل شئ أدين لكم بالاعتذار اذ أزعجتكم هكذا

فجأة بقضية حفظت منذ وقت طويل .

قال سبنس :- وددت لو أن أعرف ما الذى أثار اهتمامك ، فليس من شيمك التنقيب عن الماضى بهذه الصورة . فهل يرجع هذا الاهتمام الى حادث طارئ أو تراك تشعر بفضول فجائى لقضية ظلت مستغلقة فحسب . ان القوميسير جاروواى ، وكان لا يزال مفتشا وقتها ، هو الذى كلف بالتحقيق فيها ، وهو صديق حميم ولهذا لم أجد صعوبة فى اقناعه بأن يلتقى بك .

قال بوارو :- وكان من الكرم بأن جاء هنا اليوم لا لشئ الا لارضاء فضولى فيما يتعلق بمسألة قديمة لا شأن لى بها على كل حال .

قال جاروواى :- لن أقول هذا فانه يحدث لكل منا أن يهتم بمسألة من مسائل الماضى ، مثال ذلك هل قتلت ليزى بورون أباها وأمها بالبلطة ؟ مازال هناك أناس لا يعتقدون ذلك . ومن الذى قتل شارل براثو ؟ ولماذا ؟ .. هناك افتراضات كثيرة ولكن أكثرها لا يستند على أسس متينة .

نظر القوميسير بعينيه الحادتين الى المخبر السرى وقال :- وقد اهتم مسيو بوارو قبل ذلك بقضايا تمت الى الماضى اذا لم أخطئ .

قال سبنس :- مرتين أو ثلاث مرات .. مرة تلبية لالتماس فتاة كندية ، أليس كذلك ؟

قال بوارو :- هذا صحيح . فتاة كندية حادة الطباع مشبوبة العاطفة تتدفق حيوية ونشاطا جاءتنى لكى أحقق فى جريمة قتل حكم على أمها بالاعدام بسببها وماتت الام قبل تنفيذ الحكم ، وكانت الابنة متأكدة من براءتها .

- وانت ؟ .. هل كنت متفقا معها على ذلك ؟

- ليس فى اللحظة التى كشفت لى فيها الوقائع لاول مرة ، ولكن كان يبدو عليها أنها واثقة جدا .

قال سبنس :- كان من الطبيعى أن تتمنى الفتاة على الرغم من كل الظواهر أن تكون أمها بريئة وأن تحاول اثبات ذلك .

أجاب بوارو فى تفكير:- بل انها فعلت أكثر من ذلك . عرفت كيف تقنعنى أى نوع من النساء كانت أمها .

- امرأة لا تستطيع ارتكاب جريمة قتل ؟

- ليس تماما . والغريب فى الامر والذى أثار اهتمامى هو أنها لم تحاول قط أن تعلن براءتها . كان يبدو أنها راضية تماما بالحكم الذى صدر عليها واعترف أن هذا الامر فى حد ذاته جعلنى أفكر ، هل كانت غير مكترثة بمصيرها الى هذا الحد ومتشائمة ؟. ولكن ما أن بدأت تحرياتى حتى لمست الدليل على أن الامر ليس كذلك وأنه على النقيض تماما .

انحنى جارووای فوق المائدة وراح يفتت كسرة الخبز التى فى طبقه فى حركة آلية . كان يبدو عليه الاهتمام . وسأل :

- وهل كانت بريئة ؟

أجاب بوارو:- نعم . كانت بريئة . كانت هناك بضع نقاط تجعلها أن تكون مذنبة. نقطة لم يهتم بها أحد أثناء التحقيق .

وأتى الجرسون فى هذه اللحظة بطبق فخم من السمك . وقال سبنس :- وقد اهتممت أنت كذلك بقضية أخرى كانت قد حفظت ولكنها تختلف كل الاختلاف عن القضية الاولى . كان الامر يتعلق بفتاة أخرى ولكنها كانت تدعى أنها رأت بعينيها جريمة قتل أثناء أحد الاجتماعات .

قال بوارو :- فى هذه القضية بالذات كان لابد لى .. ماذا أقول .. أن أرتد خطوات الى الوراء بدلا من أن أتقدم الى الأمام .

- وهل رأت تلك الفتاة جريمة قتل حقا ؟

- كلا . لان الامر كان يتعلق بفتاة غيرها . هذا السمك لذيذ حقا .

قال سبنس :- ان السمك فى هذا المطعم لذيذ دائما .. وهذه الصلصة شهية حقا . وملا طبقه منها فى حين استطرد جاروواى :- عندما جاءنى سبنس يسألنى اذا كنت أتذكر قضية رافنسكروفت تملكتنى الحيرة والدهشة معا .

- أنت اذن لم تنسها .

- كلا ، فهى ليست من القضايا التى ينساها المرء بسهولة .

- لا ريب أنك متفق معى فى أننا واجهنا كل الافتراضات المختلفة بعضها عن الاخر ، أكان هذا بسبب نقص القرائن .

- كلا اذا أردت الحق ، تطابقت كل الشهادات مع الوقائع ، وقد كانت هناك ميتات أخرى مشابهة ، ومع ذلك ..

كرر بوارو :- ومع ذلك ؟

- كان هناك شئ لا يتطابق .

صاح سبنس فى فضول :- آه .

وقال المخبر السرى :- هذا هو نفس الاحساس الذى أحسست به أثناء التحقيق فى قضية أخرى . هل تذكر ؟

- أظنك تعنى قضية مسز ماك جينتين ؟

- هو ذلك . لم تكن راضيا عندما صدر الحكم على ذلك الشاب الذى يجب أن نعترف أن سلوكه كان يدعو الى الاستغراب ، فقد كانت لديه كل الاسباب لكى يرتكب الجريمة وكان يبدو أنه ارتكبها فعلا . وكان هذا رأى الجميع . ولكنك أنت كنت مقتنعا بأنه غير مذنب ، وكنت متأكدا من ذلك الى حد أنك جئت تسألنى اذا لم أكن أريد اكتشاف الحقيقة .

- وقد ساعدتنى كثيرا ، ويجب أن أعترف بذلك بكل اخلاص .

تنهد بوارو وقال :- ومع ذلك فقد كان شابا بغيضا . كان يكاد يستحق الشنق لا لأنه ارتكب الجريمة ولكن لانه كان يرفض بصفة مستمرة مساعدتنا فى المهمة الدقيقة التى أخذناها على عاتقنا على أمل اثبات براءته . وها نحن الان أمام قضية رافنسكروفت .. قوميسير جاروواى ، كنت تقول منذ لحظة أن هناك شيئا لا يتطابق .

- نعم . وكنت متأكدا من ذلك تماما التأكيد .

- هذه أمور تقع أحيانا . ولدينا الادلة وكذلك الدافع والمناسبة وآثار من كل نوع وكذلك الاعداد لارتكاب الجريمة فى بعض الاحيان ، ومع ذلك فان المحققين يشعرون بأن كل هذا مدبر وملفق تماما كما يشعر الخبير فى دنيا الفن بأنه أمام لوحة زائفة وذلك حتى قبل أن يكتشف أدلة ملموسة على هذا الزيف .

وأستطرد القوميسير يقول :- ولسوء الحظ لم أستطع أن أفعل الشئ الكثير ، فقد فحصت المسألة من جميع وجوهها ومن جميع نواحيها ، لو جاز لى أن أقول ذلك ، واستجوبت أعدادا كبيرة من الناس ولكن عبثا ، فقد كانت القضية تبدو انتحارا مزدوجا حقا ، وكانت لها كل المظاهر التى توحى بذلك . وكان يمكن الادعاء من ناحية أخرى طبعا بأن أحدهما ، الزوج أو الزوجة قتل الاخر ثم انتحر ، فمثل هذه الامور تقع كذلك ، ولكن حين نجد أنفسنا أمام مثل هذه الظروف فاننا نعرف عادة أن الجريمة وقعت بهذه الطريقة ، ونعرف الدافع الى ذلك فى أغلب الحالات .

سأله بوارو :- ولكنك لم تجد أى دافع فى القضية التى نحن بصددها ؟

- أبدا . عندما نبدأ التحقيق هناك قاعدة عامة وهى أن ننظر الى الناس الذين تدور حولهم القضية نظرة دقيقة ، وفى تلك الحالة بالذات كان الزوج يتمتع بسمعة حسنة ، وكان يبدو أن زوجته تحبه وأنها متعلقة به ، وكانا على أتم وفاق هما الاثنان . كان يبدو أنهما سعيدان تماما وكانا يخرجان للنزهة معا دائما ويشتركان فى المساء فى

لعب البريدج أو البوكر . وكان لهما ولدان لا يسببان لهما أية مشاكل خاصة . صبى صغير فى مدرسة انجليزية وطفلة فى مدرسة داخلية بسويسرا .. الخلاصة ، لم نستطع أن نجد فى حياتهما أى شئ غير عادى ، واذا نحن صدقنا الشهادات الطبية التى جمعناها فلم يكن هناك ما يثير القلق من الناحية الصحية . فى وقت ما شكا الزوج من ارتفاع الضغط ولكنه كان يعالج نفسه بصفة مستمرة بالأدوية الخاصة ، وشكت الزوجة من القلب ذات مرة ، ولكن لم يكن هناك ما يثير القلق حقا ، ومن الممكن طبعا، كما يحدث فى بعض الاحيان أن أحدهما أحس بمخاوف جدية من نحو صحته ، فهناك عدد كبير من الناس ، على الرغم من أنهم فى صحة جيدة يعتقدون أنهم مصابون بالسرطان وأنهم لن يعيشوا سنة أخرى . ويحملهم هذا الاعتقاد أحيانا الى الانتحار . وهذه حالة شائعة أكثر مما يمكن أن نعتقد ، ومع ذلك فان آل رافنسكروفت كانا هادئين متزنين لا يبدو أنهما يمتان الى هذه الطبقة من موسوسى المرض .

سأله بوارو :- وما الذى حسبته اذن ؟

- المزعج هو أننى أحسست تقريبا بأننى عاجز عن أن أبدى لنفسى رأيا ، والان عندما أنظر الى الوراء أقول لنفسى أن المسألة لا يمكن أن تكون الا انتحارا مزدوجا ، وأنهما لسبب لا ندريه قررا أن الحياة أصبحت لا تطاق ، ولكن هذا القرار لم يكن سببه أية متاعب مالية أو صحية ، وكذلك لم يكن بسبب سوء تفاهم على الاطلاق .

وجدت نفسى فى مأزق حقا ، فقد خرجا للنزهة معا ومعهما مسدسهما ، وهذه النقطة فى حد ذاتها أمر غريب ، ويجب أن نعترف بذلك .. وهو مسدس وجدناه بعد ذلك بجوار الجثتين . وقد أثبتت البصمات التى وجدناها عليه أن الزوج والزوجة عالجاه معا ، ولكنها كانت بصمات معقدة بحيث لم نستطع أن نتبين من الذى استعمله آخر مرة .

افترضنا أن الزوج قتل زوجته أولا ثم انتحر ولكننا افترضنا ذلك لا لشئ الا لانه

كان يبدو أمرا معقولا أكثر من غيره . وقد مرت سنوات كثيرة ومع ذلك فعندما أقرأ احدى الجرائد أنهم عثروا فى مكان ما على جثتى رجل وزوجته لا أملك الا أن أعود القهقرى وأن ألقى على نفسى الاسئلة فأتساءل لماذا اضطر آل رافنسكروفت الى الاقدام على مثل هذا العمل . نعم ، لماذا ؟

هل كان الزوج يكره زوجته دون علم الجميع . أو هل كانت الزوجة على العكس من ذلك ، هى التى عملت على التخلص من زوجها ؟

هل كان كل منهما يمقت الاخر الى حد أنه لم يستطيع احتمال الموقف أكثر من ذلك

هل لديك رأى آخر يا مستر بوارو ؟ هل اطلعت على شئ أثار اهتمامك . وهل تعرف شيئا يستطيع أن يجلوَ لنا سر هذه المسألة ؟ .

- كلا . ولكننى أعتقد أنك كونت لنفسك نظرية ما .

- بالطبع . هناك دائما آراء ونظريات ونرجو أن تكون احداها صحيحة ، ولكن مما يؤسف له ألا تجرى الامور كما نشتهى دائما . وأنت تعرف ذلك خيرا منى .

ونظريتى أنا لم تستطع أن تحملنى بعيدا فيما يتعلق باكتشاف الدافع لاننى لم أكن أملك ما يكفى من المعلومات . والحق أننى لم أكن أعرف الشئ الكثير عن القتيلين . كان الجنرال رافنسكروفت يخطو نحو الستين وكانت زوجته فى الخامسة والثلاثين ، ولكننى فى الواقع لم أكن أعرف غير الخمس أو الست سنوات الاخيرة من حياتهما لانهما عادا الى انجلترا بعد أن أعتزل الجنرال الخدمة وأقاما فى بورنموث فترة من الوقت قبل أن ينتهى بهما الامر الى الاقامة بصفة نهائية فى تلك الفيللا التى وقعت المأساة بجوارها ، فى اقليم كنت . وكانا يعيشان فيها عيشة بسيطة لا تتخللها أية تعقيدات . وكان ولداهما يأتيان لقضاء الاجازات معهما .. حقبة هادئة عقب معيشة أكثر هدوءا فى الخارج . ومع ذلك ، ومع امعان التفكير ، ما الذى كنت أعرفه عن تلك المعيشة

التى يقال أنها كانت هادئة وبعيدة عن المشاكل . فى خلال السنوات الأخيرة لم يكن هناك كما علمت أية مشاكل مالية ولا أية أسباب للحقد أو أية مشاكل جنسية أو غرامية . ولكن قبل هذه الحقبة ؟ .

قضيا أكبر جزء من حياتهما فيما وراء البحار ولم يقيما فى انجلترا غير فترات قصار . ثم أن الجنرال كان رجلا مرموقا وكان أصدقاء الزوجة الشابة يحتفظون عنها بذكرى جميلة . لم تكن هناك أية صعوبة ولا أى شجار . ولم يسمع عنهما أحد أى شئ ولكن حقبة كبيرة مرت على كل حال منذ زواجهما ، وهى حقبة قضياها فى مختلف بلاد الكومونويلث ، وخاصة فى الهند ، ولعل أصل المأساة موجود هناك . هناك حكمة مأثورة كانت جدتى تحب ترديدها وهى : جذور أخطائنا تتغلغل فى الماضى فهل معنى هذا أنه كان يجبُ أن أتصور أن الدافع للمأساة كان موجودا فى ذلك الماضى الذى لا أعرف عنه شيئا تقريبا ! كان من العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل أن أتأكد من ذلك فى الواقع ، فانه يمكننا أن نعرف سوابق كل شخص بسهولة وأن نعرف ما يقول أصدقاؤه ومعارفه عنه . ولكن يندر أن تعرف عنه أخص خصائصه . وشيئا فشيئا رأيت أنه كان ينبغى أن أتحرى عن هذه الحقبة الماضية فمن الجائز أن شيئا ما وقع فى بلد آخر .. حديث الناس أن النسيان طواه الى الأبد دون أن يكون الأمر كذلك .. ضغينة قديمة لا يعرف أحد هنا شيئا عنها . لو اننى كنت أعرف أين أبحث .

- من الجائز فى الواقع أنه ليس هناك من أصدقائهما الانجليز من يعلم بهذا الحدث.

- لاسيما أنهم أصدقاء حديثو العهد ، ومن الجائز أن بعض معارفهما القدماء كانوا يأتون لزيارتهما من وقت لآخر ، ولكن ليس من المؤكد أنهم عرفوا عنهما سرا ما هنا اذا كان هناك سر . ثم أن الناس ينسون .

وافقه بوارو قائلا :- نعم . ان الناس ينسون .

- انهم ليسوا كالافيال اذ يقال أن هؤلاء يتمتعون بذاكرة قوية .

- من العجيب أن تقول ذلك .

- ان الناس ينسون الماضى ؟

- لم يدهشنى هذا القول بالذات وانما أدهشنى ما قلت عن الافيال .

تأمل القوميسير جارووای بوارو فی شئ من الدهشة منتظرا ايضاحا كما يبدو . وألقى سبنس نظرة الى صديقه القديم وقال :

- ربما ينبغى أن نواجه حدثا وقع فى الهند ، فان الافيال تأتى من هناك ، أليس كذلك ؟ أو لعلها تأتى من أفريقيا .

قال بوارو :- صديقة حميمة لى تدعى مسز أوليفر حدثتنى منذ أيام عن هذه الحيوانات .

- أريان أوليفر ؟ .. أتراها تعرف شيئا ما بالصدفة ؟

- لا أظن أنها تعرف شيئا ما فى الوقت الحاضر ، ولكن لن أدهش أبدا إذا هى عرفت بعض الاشياء فى وقت قريب .

لزم المخبر السرى الصمت لحظة قبل أن يستطرد قائلا :- انها تنتمى الى هذا النوع من النساء الذى يرى أشخاصا كثيرين ويعرفون الكثير عادة .

- ألديها نظرية ما بخصوص المسألة التى تشغلنا ؟

قال جارووای :- هل تتكلم عن كاتبة الروايات البوليسية ؟

- نعم .

- هل لها معرفة بعلم الاجرام ؟ أعرف أنها تكتب روايات بوليسية ولكننى لم أفهم أبدا من أين تستمد أفكارها ووقائعها .

أجاب بوارو :- أما الافكار فتستمدها من ذهنها أما الواقع فأمرها أشد صعوبة (وأمسك المخبر السرى عن الحديث لحظة) .

وسأله سبنس :- فيم تفكر يابوارو ؟ أفى شئ خاص ؟

- كنت أفكر فى اننى هدمت ذات مرة ورغما عنى احدى نظرياتها . على الاقل هى التى أكدت لى ذلك ، فقد خطرت لها فكرة معينة ... شئ له علاقة ببلوفر من الصوف طويل الكمين . وقد اتفق أن كلمتها فى التليفون فى هذه اللحظة بالذات لكى أسألها عن شئ ما فأضعت عليها فكرتها ، ومازالت حتى الان تعتب على ذلك من وقت لاخر .

- انك جعلتنى أفكر فى عود البقدونس الذى انغرز فى الزبدة فى يوم كان شديد السخونة هل تعرف شرلوك هولمز والكلب الذى لم ينبح بالليل .

- هل كانا يملكان كلبا ؟

- أرجو المعذرة .

- أعنى الجنرال رافنسكروفت وزوجته ؟ .. هل كانا يملكان كلبا ؟ .. وهل اصطحباه معهما فى ذلك اليوم الذى لقيا فيه مصرعهما ؟

أجاب جاروواى :- كان لديهما كلب وأعرف أنهما كانا يصطحبانه معهما فى نزهاتهما فى أغلب الاوقات ولكننى لا أستطيع القول ..

- لو اننا أمام احدى روايات مسز أوليفر لوجدنا الكلب المسكين يبكى بجوار جثتى صاحبيه ، ولكن الامور تدور بطريقة مختلفة فى الحقيقة . وعلى كل حال فالامر لم يقع كذلك .

هز جاروواى رأسه في حين قال بوارو : - اننى أتسا ءل أين هذا الكلب الان .

- أظن أنه مدفون فى مكان ما من الحديقة .. تذكر أن هذه القصة وقعت منذ أربعة عشر عاما .

قال المخبر السرى فى تفكير :- لا يمكننا أن نذهب لاستجوابه اذن ، وهذا أمر يؤسف له . من العجيب أن نلاحظ أن عددا كبيرا من هذه الحيوانات يمكن أن تعرف

أشياء كثيرة . من كان فى البيت يوم المأساة ؟

أجاب القوميسيرجارووای :- اننى أحضرت معى قائمة متوقعا هذا الاحتمال . لدينا أولا مسز وايتاكر ، وهى خادمة عجوز وكانت تقوم أيضا بمهام الطاهية . وهى صماء وضعيفة البصر ولم تستطع أن تقدم لنا أى عون . ثم ان اليوم الذى وقعت فيه المأساة كان يوم عطلتها الاسبوعية . وكل ما استطاعت أن تخبرنا به هو أن الليدى رافنسكروفت كانت قد خرجت منذ وقت قريب من المستشفى ، والظاهر أنها كانت قد دخلتها لتعالج أعصابها . ولدينا بعد ذلك البستانى ثم فتاة أجنبية كانت تشرف قبل ذلك على تربية الطفلين .

- ومع ذلك فقد كان فى استطاعة شخص مجهول أن يأتى من الخارج ويقتحم القصر . هل خطرت لك هذه الفكرة أيها القوميسير ؟

- طبعا . ولكننا لم نجد ما يدعمها .

لم ينطق بوارو وسرح بفكره الى وقت اضطر فيه هو بالذات أن يرجع الى الماضى وأن يدرس حالة أشخاص خمسة وقد انتهى به الامر الى اكتشاف الحقيقة .

***

الفصل السادس

عندما عادت مسز أوليفر الى بيتها فى صباح اليوم التالى كانت مس ليفنجستون فى انتظارها وقد قالت لها :

- كانت هناك مكالمتان لك يا سيدتى .

- آه ، نعم ؟

- كانت المكالمة الاولى من كريشتون وسميث . أرادا ان يعرفا اذا كنت تختارين البروكار الزيزفون أو الازرق الباهت .

- لم تستقر نيتى بعد على أيهما .. ذكرينى بأمرهما غدا صباحا ، ليس هذا بالامر العاجل .

- والمكالمة الثانية من رجل أجنبى .. رجل يدعى هركيول بوارو .

- وماذا كان يريد ؟

- يريد أن يعرف اذا كنت تستطيعين الذهاب لزيارته اليوم بعد الظهر .

- لا أستطيع على الاطلاق . أرجو أن تتصلى به وأن تخبريه ، أننى مشغولة جدا

ولا أجد من وقتى دقيقة واحدة . يجب أن أخرج ثانية على كل حال هل ذكر لك رقم تليفونه ؟

- نعم يا سيدتى .

- هذا حسن ، سيجنبك هذا مشقة البحث فى الدليل . قولى له أن يلتمس لى عذرا وأننى لا أستطيع أن أزوره ظهر اليوم لاننى أتعقب فيلا .

- أوه ... حسنا يا سيدتى .

تأملت مس ليفنجستون الكاتبة وهى تتساءل أن لم تكن على حق فى أن تظن فى بعض الاحيان أن مسز أوليفر على الرغم من موهبتها الادبية ، كانت مختلة العقل .

وقالت مسز أوليفر :- لم أحاول اصطياد الافيال قبل ذلك ولكن يجب أن أعترف بأنها تجربة مدهشة حقا .

ومضت الى الصالون وفتحت أول مجلد من المجلدات التى فوق الاريكة . وكان فى حالة يرثى لها لانها أساءت استعماله أمس وهى تبحث عن عدد من العناوين !

وتمتمت تقول :- الواقع أننى يجب أن أبدأ من مكان ما . وأظن أنه يجب أن أبدأ بزيارة جوليا . هذا اذا لم يكن عقلها قد اختل تماما . كان لها دائما آراء كثيرة ثم انها كانت تعرف المنطقة كلها . نعم ، أظن أننى سأبدأ بها .

وقالت مس ليفنجستون :- هناك أربع خطابات يجب أن توقعى عليها يا سيدتى .

- ليس لدى متسع من الوقت الان . ويجب أن أذهب الى هامبتون كورت ، وهو ليس بالمكان القريب .

***

نهضت جوليا كارستيرز عن مقعدها فى جهة وتقدمت بضع خطوات لكى ترى تلك الزائرة التى أخبرتها ايما بقدومها تلك الخادمة المخلصة التى تشاركها مسكنها الصغير ذلك المسكن المخصص للاشخاص المسنين الذى تقيم فيه سنوات . كانت صماء نوعا ما

ما ولم تسمع الاسم جيدا .. مسز أوليفر ؟... لم تتذكر أنها عرفت امرأة بهذا الاسم . وتطلعت الى وجه زائرتها فى فضول وبدأت مسز أوليفر تقول :

- أظن انك لا تتذكرينني لاننا لم نلتق منذ سنوات عديدة . وكانت مسز كارستيرز تتذكر الاصوات أكثر من الوجوه شأن الكثير من المسنين فصاحت :

- يا الهى !.. ولكن .. انها هذه العزيزة أريان ... شدما يسرنى أن أراك .

تصادفت أن كنت فى زيارة بعض الناس على مقربة من هنا ورأيت فى دفتر مذكراتى أننى لست بعيدة عنك . ان مسكنك هذا جميل .

- نعم ، لا بأس به . انه ليس كما وعدونى فى البداية ولكن له مزاياه على الرغم من ذلك ، فهو وان كان صغيرا الا أنه مريح . وهناك مطعم قريب يمكن أن نتناول طعامنا فيه . نعم ، لا بأس به . ثم أن الحديقة جميلة والعناية بها مستمرة ، ولكن تفضلى بالجلوس يا أريان . أرى أنك فى صحة جيدة . قرأت فى اليوم السابق فى صحيفتى أنك كنت مدعوة الى مأدبة أدبية . ما أعجب هذا ! ما ان نقرأ اسم شخص أو نسمع عنه نراه بعد يومين على الأكثر .. ان ظروف الحياة عجيبة فى أغلب الاحيان .

أجابت الكاتبة وهى تجلس فى المقعد الذى قدمته لها جوليا كارستيرز :- هذا صحيح ... هذه أشياء تقع دائما .

- أما زلت تقيمين فى لندن ؟

- نعم .

وسألتها مسز أوليفر عن بناتها ، واحداهن تقيم فى نيوزيلند وعن أولادهن . ودقت المرأة العجوز بعد ذلك الجرس وعندما جاءت ايما طلبت منها أن تعد الشاى .

- الواقع أنه مضت سنوات كثيرة لم أرك فيها .

- أظن أن آخر مرة كانت زواج آن ليولن .

-ان زيجات اليوم ليست كما كانت فى أيامنا . ان بعض الأشخاص يقدمون على

ارتداء ملابس فى غاية الغرابة . كانت احدى صديقاتى مدعوة الى حفلة زواج فى الاسبوع الماضى ، وقد أكدت لى أن العريس كان يرتدى حلة من الساتان الأبيض ويلف حول عنقه غلالة من الدانتللا الثمينة وأرى أن هذا أمر غريب حقا . أما العروس فكانت ترتدى بنطلونا أبيض موشى بقلوب خضراء .

- ما أغرب هذا الامر !.. ومضيا الى الكنيسة بهذا الزى العجيب ؟ .. لو اننى من القسيس لرفضت البتة أن أزوج هذين المأفونين .

وانقطع الحديث بين المرأتين لحظات لكى يستأنفاه من جديد بعد انصراف ايما التى جاءت بالشاى .

- رأيت سليا ، ابنتى فى العماد منذ يومين أو ثلاثة . أظن أنك تتذكرين آل رافنسكروفت على الرغم من مرور كل هذا الوقت الطويل ؟

- آل رافنسكروفت . أوه ، طبعا .. يالها من مأساة محزنة . قيل أنه انتحار مزدوج .. على مقربة من منزلهما فى أوفركليف .

- ان لك ذاكرة عجيبة يا جوليا .

- اننى تمتعت بذاكرة قوية دائما ، وهذا صحيح ، على الرغم من أننى أنسى الاسماء أحيانا . نعم انها مأساة محزنة . كانت ابنة عمى رودى فوستر تعرفهما عندما كان الجنرال فى الهند حيث نجح فى عمله أيما نجاح ..

- وأنت أيضا تتذكرينهما ، أليس كذلك ؟

- طبعا ، فقد أقاما فى أوفر كليف نحو خمس أو ست سنوات .

- كان اسمها مرجريت ، ولكن الجميع كانوا يدعونها موللى ، وكانت تضع على رأسها باروكة فى أغلب الاحيان ؟ بل انها حاولت اقناعى بأن أشترى واحدة أنا الاخرى وكانت تقول أنها عملية جدا خصوصا أثناء السفر . كان لديها أربع باروكات مختلفة . واحدة منها للمساء وأخرى للسفر وكان يمكن أن تلبس قبعة فوق هذه الاخيرة دون أن

تصاب بأى تلف .

قالت مسز أوليفر :- اننى لم أكن أعرف الجنرال رافنسكروفت وزوجته جيدا مثلك ثم أننى حين وقعت المأساة كنت فى الخارج ولهذا لم أعرف التفاصيل .

- أنها مسألة غامضة على العموم . وقد دارت قصص كثيرة يختلف بعضها عن البعض ولكننى أعتقد أن أحدا لم يعرف الحقيقة أبدا .

- ومع ذلك فاننى أظن أنه كان هناك تحقيق .. فماذا كانت نتيجته ؟

- جرى التحقيق طبعا كما يحدث فى جميع حالات الموت العنيف ، ولكن لم يستطع المحققون تحديد ما حدث بالضبط . تكلموا طبعا عن جريمة قتل يليها انتحار ، ولكن من رأيى أن المسألة كانت مجرد انتحار مزدوج ...أما الدافع ..

- ألم يخطر لهم أنه قد يكون هناك جريمة قتل ارتكبها شخص ثالث ؟

- كلا . بل أنهم اكدوا أن لا شئ هناك يمكن أن يدعم هذه النظرية ، فلم تكن هناك آثار عجلات سيارة ولا آثار اقدام . كان يبدو واضحا انه لم يقترب منهما أى شخص . وكانا قد غادرا الفيللا بعد تناول الشاى ليقوما بنزهتهما العادية . وعندما لم يعودا فى موعد العشاء بدأ القلق عليهما وأسرع البستانى للبحث عنهما ولم يلبث أن أكتشف الجثتين والمسدس بجوارهما .

- كان المسدس ملكا للجنرال رافنسكروفت ، أليس كذلك ؟

- نعم . كان يملك مسدسين كغيره من العسكريين القدامى ، وكان المسدس الثانى موجودا فى درج مكتبه . وكان قد خرج وأخذ المسدس الاخر معه . ويبدو أنه من المستبعد أن تكون الزوجة هى التى أخذته .

- من المستبعد ذلك فى الواقع . بل ان هذا كان أمرا عسيرا عليها .

- لم يكن هناك شئ ظاهريا يمكن أن يدفعهما الى مثل هذا العمل اليائس . ولكن لا يدرى أحد أبدا أسرار حياة الغير ، أليس كذلك ؟

- هذا صحيح يا جوليا .. لا يدرى أحد ذلك . ولكن هل كونت لنفسك رأيا ما ؟

- الحق ان المرء لا يسعه الا أن يفكر . لعل الدافع صحى فقد أشيع أن الجنرال كان مصابا بالسرطان أو بمرض عضال . ومع ذلك واستنادا الى التقارير الطبية لم يكن مصابا بأى شئ . كان قد تعرض لازمة قلبية ولكنه لم يلبث أن شفى منها تماما . اما زوجته فكانت عصبية بعض الشئ .

- يخيل لى فى الواقع اننى أتذكر هذا الامر .

ولزمت مسز أوليفر الصمت لحظة ثم قالت فجأة :- وبهذه المناسبة ، هل كانت موللى رافنسكروفت تلبس باروكة عندما لقيت مصرعها .

- لا أستطيع الجزم بذلك . ولكننى أعرف انها كانت تلبس باروكة دائما .

- أعترف أن هذا الأمر يحيرنى بالذات فانها اذا كانت تنوى الانتحار أو قتل زوجها فانها ما كانت لتلبس الباروكة .

وتجادلت المرأتان فى هذه النقطة لمدة دقائق ثم قالت مسزأوليفر :- ما هو أعتقادك الشخصى يا جوليا ؟

- من العسير أن أبدى اى رأى فقد دارت بعض الاشاعات وقيلت أشياء كثيرة .

- ضده هو أو ضد زوجته .

- دارت الهمسات على الاخص حول امرأة أخرى .. سكرتيرة الجنرال .. فقد كان يكتب مذكراته .. ذكرياته فى الهند . وكان يمليها على هذه المرأة الشابة بالطبع . وقد أشاع البعض ، ولعلك تعرفين كيف تدور هذه الشائعات انه كانت هناك علاقة بينهما . ولم تكن السكرتيرة فتاة فى مقتبل العمر على كل حال .. أظن أنها كانت فى الخامسة والثلاثين ، ولم تكن جميلة بنوع خاص ، ومع ذلك فقد حسب البعض أن الجنرال رافنسكروفت قتل زوجته لكى يتزوج سكرتيرته ،ولكنهم لم يجهروا بذلك ، وعلى كل حال ، فاننى لم أصدق هذا القول ابدا .

- ماذا ظننت اذن ؟

- ألقيت على نفسى أسئلة حول موللى على الخصوص .

- هل تقصدين أن بعضهم ذكر اسم رجل ؟

- أظن أنه حدث شئ فى ماليزيا ، فقد سمعت كلاما يدور عنها .. كانت لها علاقة برجل يصغرها سنا .

ويقال أن زوجها لم يرق له ذلك أبدا وأنه وقعت فضيحة صغيرة . ولكن كان هذا منذ وقت طويل ولا أظن حقا أن الجنرال كان ينتظر كل هذه المدة لكى ينتقم اذا كان ينوى الانتقام .

- ألم يتكلم أحد عن أية قصة من هذا النوع وقعت فى مكان الجريمة .. عن علاقة مع أحد الجيران مثلا أو عن مشاجرة وقعت بين الزوجين ؟

- كلا . لا أظن ذلك . قرأت كل ما كتبته الجرائد عنهما ، وتحدثنا عن كل ذلك طبعا لان أناسا كثيرين كانوا يشعرون بالذات انه لابد أن تكون هناك قصة حب .

- ولكنك مع ذلك انتهيت الى الاعتقاد بأنه لم يكن هناك شئ من هذا القبيل ... والاولاد ؟

- كان هناك طفلان كما تعرفين . الاكبر طفلة فى الثانية عشرة من عمرها كانت بمدرسة داخلية فى سويسرا والثانى صبى أصغر منها سنا وكان فى مدرسة انجليزية .

- أظن أنهم لم يكتشفوا فى الاسرة أية آثار .. عن أمراض عقلية ؟

- كلا . وأكاد أكون واثقة من ذلك . ولكن لا يسعنى الا أن أفكر ..

- نعم يا جوليا ؟

- لا يسعنى الا أن أفكر فى أنه ربما كان فى الامر رجل آخر غير الزوج على الرغم من كل شئ .

- هل تقصدين ان الليدى رافنسكروفت ..

- لا يبدو هذا مستبعدا ابدا .. فأول كل شئ كانت هناك الباروكات ..

- أعتقد انني لا أفهم تماما دور الباروكات في هذه المسألة .

- أنها كانت تضفي عليها جمالا بشكل محسوس .

- ولكن أظن أنها لم تكن قد تجاوزت الخامسة والثلاثين .

- بل كانت في السادسة والثلاثين ، وقد أرتني باروكتها ذات يوم . ويجب أن أعترف بأنها كانت تليق عليها كثيرا ، الى جانب أنها كانت جميلة جدا . وكانت تعنى بمظهرها كل العناية . والظاهر ان كل هذا بدأ عندما جاء للاقامة في المنطقة .

- وكل هذا يدفعك الى الظن بأنها ربما تعرفت برجل ..

- هذا احتمال يمكن مواجهته على كل حال . عندما يخرج رجل مع فتاة فسرعان ما يلحظ الناس ذلك لان الرجال ليسوا من الذكاء ليحرصوا على اخفاء امورهم بعكس النساء وربما استطاعت موللي التعرف برجل دون أن يلحظ أي أحد ذلك .

- هل تعتقدين هذا حقا يا جوليا ؟

- طبعا . وان من الغريب أن ما من أحد من الجيران قد لحظ ذلك ، ولكن لا يدري أحد ابدا . واذا كان الزوج قد اكتشف السر ..

- أتكون جريمة قتل اذن تسببت فيها الغيرة ؟

- لن يدهشني هذا ابدا .

- اذا صح هذا فيكون الجنرال رافنسكروفت هو الذي بدأ باطلاق الرصاص على زوجته قبل أن ينتحر .

هذا يبدو واضحا ، لانه اذا كانت هي التي ارادت أن تتخلص منه فانها ما كانت لتخرج للنزهة معه . وما كانت لتأخذ مسدسا في حقيبة يدها على الخصوص فانه يشوه منظر الحقيبة .. اننا مضطرون الى أخذ مثل هذه التفاصيل المادية في الاعتبار .

- ان ملاحظتك لها قيمتها .

- لا ريب ان هذه المسألة هامة لك فأنت تكتبين قصصا تدور حول الجرائم ، ولابد أنك تعرفين خيرا من أى شخص آخر كيف تدور الامور فى مختلف الحالات التى يمكن أن تقع .

- كلا . لان الروايات التى أكتبها تدور كلها حول جرائم قتل ابتدعها من الخيال المحض ولا يحدث فيها الا ما أريده أن يحدث . ولكن يهمنى على العكس من ذلك أن أعرف ما يدور فى رأسك أنت ، فانك تعرفين الناس جيدا وقد خطر لى أن موللى ربما أطلعتك على شئ قبل موتها .

- كلا . لا أذكر أنها أطلعتنى على أى شئ .. كلا حقا .

***

الفصل السابع

وقفت مسز أوليفر لحظة مترددة أمام الدرجات الحجرية الثلاث المؤدية إلى باب عتيق متداع فى شارع ضيق كان منظره منفرا يخفف من حدته صف من زهور الثيوليب تنمو تحت نوافذه .

فحصت الكاتبة دفتر عناوينها الصغير لكى تتأكد من انها لم تخطئ ثم دقت الجرس . واذ رأت أن حركتها هذه بقيت دون مجيب لجأت الى المطرقة الحديدية المعلقة بالباب والتى يعلوها الصدأ ، ولم تكن لهذه الحركة هى الاخرى أى تأثير فراحت تدق من جديد وبصورة اقوى .

وبعد لحظات سمعت شخصا يجر قدميه فى الداخل وهو يتنفس بصعوبة ويحاول أن يفتح الباب . ثم تناهت الى اذنيها بضع كلمات من خلال فتحة صندوق الخطابات تقول:

- لعنة الله عليك !.. ان هذا الباب القذر قد انحشر مرة أخرى .

واخيرا انفتح الباب وهو يصدر صريرا شديدا وظهرت امرأة متقدمة فى السن تملأ وجهها الغضون محدودبة الكتفين ، كان يمكن أن تكون فى السبعين أو الثمانين من عمرها . وقالت :

- لا أدرى ماذا تريدين ولكننى ..

وأمسكت فجأة وتفرست فى وجه زائرتها فى اهتمام ثم صاحت :- يا الهى !..

ولكن هذه مس أريان ! .. ما أسعدنى برؤيتك !

- كيف حالك يا مسز ماتشام ؟

وعادت المرأة العجوز تقول فى تأثر :- مس أريان .

فكرت مسز أوليفر أن أحدا لم يدعها بمس اريان منذ وقت طويل . واستطردت مسز ماتشام تقول :

- ولكن تفضلى .. يا الهى ! .. لم أرك منذ خمسة عشر عاما على الاقل .

كانت المدة اكثر من هذا بكثير ولكن مسز أوليفر لم تر أي داع لان تخبرها بذلك وشدت على يد المرأة العجوز التى ترتعش ودخلت . وأغلقت مسز ماتشام الباب وأدخلت زائرتها الى غرفة استقبال صغيرة تغطى جدرانها صور فوتوغرافية قديمة جدا احداها لامرأة شابة ترتدى ثياب البلاط الملكى فى اطار فضى جميل باهت اللون وأخرى لضابطين بحريين ، وغيرها لأطفال عراة وقد رقدوا على صدورهم فوق وسائد من الحرير . وجلست مسز أوليفر على مقعد تاركة الاريكة للمرأة العجوز التى وضعت وسادة خلف ظهرها .

- انها لمفاجأة سارة أن أراك فجأة هكذا يا عزيزتى اريان .. هل مازلت تكتبين قصصا حميلة .

أجابت الكاتبة وهى تتساءل اذا كانت روايات المغامرات البغيضة والجرائم البشعة قصصا جميلة :

- نعم .

وقالت مسز ماتشام :- اننى أعيش الان وحدى تماما . لعلك تتذكرين اختى جراسيا ؟ انها ماتت فى الخريف الماضى بالسرطان . وقد أجروا لها عملية ولكن الداء كان قد استفحل .

- أوه يا الهى !.. اننى آسفة .

وتشعب الحديث بينهما لمدة عشر دقائق وتناولا فى حديثهما الفقيدة جراسيا واقارب مسز ماتشام الباقين .

وقالت المرأة :- وانت ؟.. كيف حالك ؟.. على ما يرام ؟.. ألك زوج الان ؟

وأسرعت تقول وقد تذكرت :- يا الهى !.. ارجو أن تعذرينى يا عزيزتى اريان . اننى اتذكر الان أنه مات منذ سنوات عديدة . ولكن ما الذى جاء بك هنا اليوم ؟

قالت مسز أوليفر كاذبة :- كنت أمر بالقرب من هنا صدفة ، ولما كنت أعرف عنوانك فقد خطر لى أن أمر بك وأستقى أنباءك .

- نعم ، ونستعيد ذكريات الماضى قليلا ، ما أجمل أن نستعيد الذكريات القديمة !

قالت الكاتبة وقد سرها أن الحديث اتجه هذا الاتجاه :

- ما أكثر هذه الصور الفوتوغرافية !

- نعم . انك تعرفين أننى قضيت فى سانسيت هاوس أكثر من سنة . وهو بيت مخصص لاقامة الاشخاص المسنين ومريح ولكنهم كانوا يمنعوننا من الاحتفاظ بحاجاتنا الخاصة فلم أبق به . فانى أحب أن تكون الاشياء التى أتمسك بها موجودة حولى .. وأعنى بها مفروشاتى وصورى . هل ترين هذه المنضدة الفضية الصغيرة ؟.. أرسلها لى أحد أولادى القدامى .. الكابتن ويلسون ، من سنغافورة .. وهذه الاوانى النحاسيه ، أليست جميلة ؟.. وهذه المنفضة المصرية أرسلها لى أحد علماء الاثار ، وكان قد اكتشفها بنفسه .

- اننى أعرف جيدا أنك تحبين تذكر كل هذه الذكريات .

- نعم . أبنائى وبناتى . بعضهم كانوا حديثى الولادة وبعضهم كان قد كبر . فى هذه الصورة ترين مس مويا فى ثياب البلاط . أوه ، ماكان أجملها ! ولكنها لسوء الحظ طلقت مرتين ، تزوجت أحد النبلاء أول مرة ولم تستطع التفاهم معه . ثم تزوجت بأحد المطربين الشعبيين . وقد فشل هذا الزواج هو الآخر طبعا . وتزوجت للمرة الثالثة

فى كاليفورنيا وكان زوجها يملك يختا كانا يتنقلان فيه كثيرا وقد مات منذ سنتين أو ثلاث سنين وهى فى الثانية والستين من عمرها فقط وأنه لامر مؤسف أن يموت الانسان فى مثل هذه السن الصغيرة !

- أنت أيضا تنقلت كثيرا بين مختلف البلاد ، أليس كذلك ؟ سافرت الى الهند وهونج كونج ومصر وأمريكا اذا لم أخطئ .

- هذا صحيح . اننى تنقلت كثيرا فى مختلف بقاع الارض .

- أتذكر أننى عندما كنت فى الهند كنت أنت تعملين عند جنرال .. أظن أنه الجنرال رافنسكروفت ؟

- كلا ، كلا . انك مخطئة فى هذه النقطة . كنت فى ذلك الوقت أعمل عند آل بارنابى . وأتيت أنت لقضاء بضعة أيام معهم .

- هذا صحيح .. انك على حق .

- وكان لهما طفلان ظريفان ، وقد أتم الشاب دراسته فى هاروا والفتاة فى روادان والتحقت بعد ذلك لدى أسرة أخرى . آه . شد ما تغيرت الامور ! لا توجد فى أيامنا هذه مربيات كما كان فى الماضى . لاحظى أن الخادمات الهنديات متعبات دائما ولكننى كنت متفاهمة تماما مع خادمة آل بارنابى . اننى أتذكر كذلك آل رافنسكروفت الذين تحدثت الان عنهم ، غير أنى لا أعرف أين كانا يقيمان بالضبط . ليس بعيدا عن فيللا آل بارنابى على كل حال . وكانت تربطهم بهؤلاء الاخيرين روابط الصداقة . وبعد سفر الولدين الى انجلترا بقيت بعضا من الوقت للعناية بمسز بارنابى . وفى نحو هذا الوقت وقعت تلك الحادثة المحزنة ، ليس فى بيت بارنابى ولكن فى بيت آل رافنسكروفت بالذات ، ولن أنسى هذه الحادثة أبدا . ولم تكن تعنينى فى شئ ولكنها كانت حادثة مؤسفة على كل حال ، فان الجنرال رافنسكروفت وزوجته كانا ظريفين وكانت تلك الحادثة صدمة كبيرة لهما .

– لا ريب في هذا . ولكنني أعترف بأنني نسيت هذه الحادثة .

– طبعا ، فلا يستطيع المرء أن يتذكر كل شئ . قيل أنها كانت تبدو دائما غريبة الاطوار وذلك منذ حداثتها . ثم أنه كانت قد وقعت لها قصة أخرى قبل ذلك ، فقد أخذت طفلا صغيرا من عربته وألقته في البحيرة ، ويبدو أنها فعلت ذلك بدافع الغيرة وقد أكد البعض أنها أرادت أن يذهب الطفل الى السماء مباشرة وبدون انتظار .

– هل .. هل تتكلمين عن .. عن الليدى رافنسكروفت ؟

– يا الهي !.. كلا . أرى أن ذاكرتك ليست قوية مثلي . انما أتكلم عن أختها .

– أخت موللى ؟

– لا أدرى هل كانت أختها هي أو أخت زوجها . قيل أنها أقامت مدة طويلة في إحدى المستشفيات ، منذ أن كانت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها . ثم أعلنت المستشفى أنها شفيت وصرحت لها بالخروج . وتزوجت برجل عسكرى وبعد ذلك بقليل عادت المشاكل وأدخلت الى المستشفى من جديد حيث راح الجنرال وزوجته يذهبان لزيارتها بانتظام . وغادرت المستشفى أخيرا وعادت للاقامة مع زوجها ، ولكن هذا الأخير لم يلبث أن مات بعد ذلك بالسكتة القلبية . وانتقلت عندئذ للاقامة عند الجنرال رافنسكروفت وزوجته . وكانت تبدو سعيدة ومتفاهمة مع الطفلين ولكن .. ذات يوم ، وكان ذلك بعد الظهر ، وكان الولد الصغير في المدرسة وكانت أخته تلعب بجوار الفيللا مع صديقة جاءت لتراها ، وأعترف بأنني لا أذكر التفاصيل جيدا بعد كل هذه السنوات ولا أدرى ما الذى حدث تماما . أرادت المرأة أن تأخذ البنتين بعيدا عن الفيللا مدعية بأنهما ليستا في أمان وأشياء أخرى من هذا القبيل . وقد أراد البعض أن يحملوا الناس على الاعتقاد بأن الخادمة هي المسئولة ولكن الاخرين لم يصدقوا شيئا من ذلك ، وقد اعتقدت أنا دائما أن المرأة الشابة هي المذنبة .

– وماذا جرى لها بعد ذلك ؟

- أظن أنها أعيدت الى انجلترا وأدخلت نفس المستشفى أو مستشفى آخر .. ولعلها شفيت بعد ذلك . لا أدرى . لم أفكر فى هذه الأمور منذ سنوات ولولا حديثك الان عن الجنرال رافنسكروفت وزوجته لما تذكرت شيئا . اننى أتسا ءل ماذا جرى لها ؟

- ألم تقرئى ذلك فى الجرائد ؟

- أقرأ ماذا ؟

- حسنا .. انهما اشتريا فيللا فى أقليم كنت و ...

- أوه ، اننى أتذكر الان .. ألم يقعا من أعلى الشاطئ الصخرى .. أو من مكان آخر ؟

أجابت مسز أوليفر فى رقة :- نعم .. وقعا من أعلى الشاطئ الصخرى .

- والان ياعزيزتى دعينى أعد لك فنجانا من الشاى .

- أوه ، كلا يا مسز ماتشام . لا أريد ازعاجك . ولست بحاجة الى الشاى اطلاقا..

- هذا خطأ يا ابنتى . اننا بحاجة الى فنجان من الشاى دائما .. هل يسوءك أن تأتى الى المطبخ . اننى أقضى هناك الجزء الاكبر من وقتى الان ، ولكننى أستقبل زوارى فى الصالون الصغير طبعا ، لاننى فخورة بكل هذه الذكريات التى جمعتها .

- لا ريب أنك قضيت حياة عجيبة مع كل هؤلاء الاطفال الذين اهتممت بهم وربيتهم تقريبا .

- نعم ، هذا صحيح . اننى أتذكر بكل تأثر ذلك الوقت الذى كنت ما تزالين فيه طفلة صغيرة وتصغين فى شوق وافتتان الى القصص التى كنت أرويها لك . كانت بينها قصة تدور حول نمر وأخرى كنت تحبينها على وجه الخصوص وتدور حول قرود تتسلق الاشجار .

- اننى مازلت أذكرها أنا أيضا . ما أبعد كل هذا .

طار ذهن مسز أوليفر الى السنين البعيدة لطفولتها ورأت نفسها وهى فى الخامسة أو السادسة وهى ترهف السمع الى كلمات مربيتها والقصص العجيبة التى تسردها عليها . ولم تكن هذه المربية غير مسز ماتشام .

ومضت الى المطبخ خلف مضيفتها وهى تدور ببصرها فى أرجاء الغرفة الصغيرة المزدحمة بالذكريات ، وتأملت فى شئ من الحنين الصور الذابلة للفتيات والفتية فى أجمل ثيابهم وجففت فى خلسة الدموع التى ترقرقت فى عينيها .

واذ دخلت المطبخ قدمت للمرأة المسنة الهدية التى أحضرتها لها . وصاحت مسز ماتشام وهى تفك الربطة بيدين مرتعشتين :

- أوه ، يا الهى . صندوق كبير من الشاى الذى أفضله . انك مازلت تتذكرين ميولى . لم تعد لى القدرة لكى أشترى من هذا النوع من الشاى الان ، وصندوق من بسكويتى المفضل أيضا ؟ آه . أرى أنك لا تنسين شيئا . هل تذكرين هذين الطفلين اللذين كانا يأتيان لمشاركتك اللعب . كان أحدهما يدعوك " الليدى سوان " . أى الاوزة الجميلة والاخر " الليدى اليفانت " . وكنت تأخذين هذا الاخير فوق ظهرك وتدورين به فى الغرفة وأنت على أربع متظاهرة بأن لك خرطوما لكى تجمعى به الاشياء..

- أنت أيضا ياداده لم تنسى أشياء كثيرة .

- أوه . لاريب أنك تعرفين الحكمة المأثورة يا ابنتى " أن الافيال لاتنسى أبدا ".

***

الفصل الثامن

دخلت مسز أوليفر صيدلية ويليام وبارنيت ، وهى صيدلية كبيرة تبيع الى جانب الادوية مختلف أنواع أدوات التجميل . ووقفت أمام فترينة تضم أدوية مختلفة لعلاج مسمار القدم وترددت لحظة أمام جبل من الاسفنج المعقم ثم وقفت أخيرا أمام فتاة فى نحو الخامسة والعشرين بدينة الجسم نوعا ما لكى تسألها عن أحمر الشفاة ولكنها لم تلبث أن أطلقت صيحة تدل على الدهشة وقالت :

- وى ! .. من أرى ؟.. مارلين !

- من ؟ .. أوه مسز أوليفر ؟.. يسرنى أن أراك هذا عظيم . ستنبهر الفتيات الاخريات عندما أقول لهن أنك أتيت عندنا .

- لا داعى لان تقولى لهن ذلك .

- أوه ، أننى واثقة أنهن لو رأينك فسيهجمن عليك وهن يلوحن بدفاترهن لكى توقعى لهن عليها .

- أرجو ألا يحدث هنا . كيف حالك يا مارلين ؟

- لا بأس .. لا بأس .. شكرا لك .

- لم أكن أعلم أنك مازلت تشتغلين هنا .

- الحق أن هذا المحل كغيره وأصحابه يحسنون معاملتنا ، وقد حصلت فى السنة الماضية على علاوة وأصبحت مسئولة عن هذا القسم كله وهذا أمر مثير للاهتمام .

- وأمك ؟.. أهى فى حالة جيدة ؟

- جدا ، وأشكرك . سيسرها أن تعلم أننى التقيت بك .

- هل مازلت تقيمين فى نفس المكان ؟

- نعم .

- اذا كانت فى البيت فى هذه الاونة فربما أستطيع أن أتوقف عندها بضع لحظات قبل أن أذهب الى عملى .

- أوه ، نعم . هذه فكرة جميلة ويؤسفنى أننى لا أستطيع أن أغادر المحل لمرافقتك فمازالت هناك ساعة على موعد الانصراف .

- سيكون لك هذا فى مرة أخرى .

وانصرفت مسز أوليفر بعد أن اشترت أصبعا من أحمر الشفاه لم تكن بحاجة اليه ، واستقلت عربتها وانطلقت فى الطريق الرئيسى ومرت أمام مستشفى وانعطفت الى شارع ضيق تحوطه فيللات صغيرة . وجاءت امرأة نحيلة ذات شعر أشيب ولكنها لاتزال نشيطة وفتحت الباب وصاحت :

- مسز أوليفر !.. اننى لم أرك منذ سنوات تفضلى . تفضلى .. هل أستطيع أن أقدم لك فنجانا من الشاى.

– أشكرك . ولكننى تناولت فنجانا الان مع صديقة لى ويجب أن أعود الى لندن بدون تأخير ، وبهذه المناسبة مررت بالاجزخانة لكى أشترى شيئا فرأيت مارلين .

– انها تشغل وظيفة طيبة وينظرون اليها بعين الاعتبار ويقولون أنها نشطة وذكية وكفء جدا .

– هذا حسن . وكيف حالك أنت يا مسز باكل ؟ يبدو أنك فى صحة جيدة . لم يظهر عليك الكبر ، خصوصا منذ أن التقينا آخر مرة .

– أوه ، لن أحاول الادعاء بهذا ، فقد ابيض شعرى وأصابنى الهزال .

– انني التقيت اليوم بصديقات كثيرات ، ويحدث هذا فى بعض الاحيان .

تبعت مسز أوليفر مسز باكل الى صالون صغير مزدحم بالمفروشات والاشياء المختلفة وسألتها :

– هل تتذكرين مسز كارستيرز ؟ .. جوليا كارستيرز ؟

– طبعا . لاريب أنها كبرت .

– هذا صحيح . ولكننا استعدنا ذكريات الايام الجميلة الماضية ، وتحدثنا عن المأساة التى وقعت عندما كنت فى أمريكا ، هل تتذكرين ؟..مأساة آل رافنسكروفت ؟

– نعم . اننى أذكرها جيدا .

– أظن أنك اشتغلت لديهم فى وقت من الاوقات ؟

– هو ذلك . كنت أذهب إليهم ثلاث مرات فى الاسبوع . كان الجنرال وزوجته زوجين ظريفين . كانت الزوجة سيدة حقيقية بمعنى الكلمة أما هو فكان ضابطا من المدرسة القديمة . نعم كانا ظريفين حقا .

– هل كنت تشتغلين لديهما عندما وقعت المأساة .

– كلا . كنت قد تركت العمل عندهما لان عمتى اديث قدمت للاقامة معنا ... وكانت قد تقدمت بها السن وساءت صحتها بحيث ضعف بصرها جدا ، وأصبح يعذر

على أن أستمر فى العمل فى الخارج واضطررت أن أنقطع عن الذهاب الى الليدى رانسكروفت قبل أن تقع المأساة بشهر أو شهرين .

- ياله من أمر فظيع . أظن أننى فهمت أنهما انتحرا معا ..

- ولكننى لا أظن ذلك . والواقع أننى مقتنعة بأنهما ما كانا يقدمان على مثل هذا العمل لانهما كانا متفاهمين تماما .

- أظن انهما كانا يقطنان بورنموث قبل أن يأتيا للاقامة فى منطقتك .

- نعم . ولكنهما لم يلبثا أن رأيا أنهما بعيدان جدا عن لندن ففضلا المجئ والاقامة هنا ، واشتريا فيللا جميلة فى وسط حديقة بديعة .

- أكانا فى صحة جيدة فى ذلك الوقت الذى كنت تذهبين فيه اليهما .

- كان الجنرال يخطو نحو الستين ، وكانت قد وقعت له أزمة قلبية واضطر أن يتناول أقراصا بصفة منتظمة وأن يتجنب كل تعب واجهاد ولكن حياته لم تكن فى خطر

- والليدى رانسكروفت ؟

- الحق أننى أعتقد انها كانت تفتقد حياتها فى الخارج لانهما كانا لا يخالطان أناسا كثيرين هنا . لقد تعرفا بعدد من الاسرات التى من طبقتهما ولكن الامر مع ذلك لم يكن كما كان عندما كانا فى الهند حيث كان لديهما خدم كثيرون ويقيمان حفلات كثيرة .

- وهل تحسبين أن الليدى رانسكروفت كانت تفتقد تلك الحفلات ؟

- كان هذا احساسى الخاص على كل حال .

- لا أدرى من الذى أكد لى انها اعتادت على لبس الباروكة .

أجابت مسز باكلى وهى تبتسم ابتسامة خفيفة :- أوه . بل كان لديها عدة باروكات . وكلها كانت جميلة جدا وغالية الثمن . كانت تبعث بكل منها الى لندن من

وقت لاخر للتنظيف ، وكانت كلها مختلفة بعضها عن الاخر فقد كانت هناك واحدة ذات انعكاسات نحاسية وواحدة لها خصلات رمادية كانت تليق عليها جدا . ثم اثنتان أخريان عمليتان للايام التى يتغير فيها الجو . كانت تهتم كثيرا بمظهرها الطبيعى كما تعلمين . وكانت تنفق مبالغ خيالية على زينتها .

– ما رأيك فى سبب هذه المأساة ... لم أكن فى انجلترا فى ذلك الوقت ولم أسمع أبدا عن هذه المسألة وعندما عدت لم أجرؤ على القاء أسئلة كثيرة . ولكن يجب أن يكون هناك سبب طبعا . خاصة واننى فهمت أن المسدس كان ملكا للجنرال .

– نعم . كان لديه مسدسان . وكان يقول أن المرء لا يمكن أن يكون فى أمان فى بيته اذا لم يملك سلاحا . ولعله كان على حق على الرغم من أنهما لم يصادفا فى حياتهما أية متاعب ، بقدر ما أعلم على الاقل . ومع ذلك فقد أقبل رجل غريب ذات يوم ... رجل لم يرق لى أبدا وأراد أن يرى الجنرال بكافة الطرق قائلا أنه كان يعمل فى فرقته عندما كان شابا ، وقد ألقى عليه سير اليستير بعض الاسئلة ولا ريب أنه أدرك أنه لا يمكن أن يثق فيه لانه طرده على الفور .

– لديك احساس اذن بأن رجلا غريبا ارتكب الجريمة ؟

– لا أرى كيف يمكن أن يكون الامر غير ذلك . ومع ذلك فيجب أن أقول أن البستانى ، الذى كان يأتى كل يوم كان لا يروق لى كثيرا هو الاخر . ثم انه لم يكن حسن السمعة ، وقد سمعت أنه قضى فى السجن مددا مختلفة .

– وهذا يحملك على الظن بأنه ربما يكون هو القاتل ؟

– أعترف بأنه طالما خطرت لى هذه الفكرة ، ولكن لا ريب أننى مخطئة ، فقد قيل انه كانت هناك فضيحة بلاشك . ولكن كل هذا لا يعدو أن يكون حمقا ، ومن المؤكد أن رجلا غريبا هو الذى ارتكب الجريمة ، فيكفى أن تقرئى الصحف كل يوم لكى تكونى على بينة ، فان شباب اليوم ما أن يشبوا عن الطوق حتى يحشوا أنفسهم بالمخدرات

ويطلقوا الرصاص على المواطنين الشرفاء بدون أى دافع . ومنهم من يدعون فتاة لكى تشاركهم الشراب فى أحد البارات ثم تكتشف جثتها فى صباح اليوم التالى فى أحد الخنادق . وآخرون يخطفون الأطفال الحديثى الولادة من عرباتهم . ان المرء يحس أحيانا بأن أى شخص يمكن أن يقدم على أى شئ . ولم يكن العنف قد بلغ هذا الحد الذى تتكلم عنه طبعا فى الوقت الذى وقعت فيه هذه المأساة . ولكن هذا لا يمنع من أن سير اليستير والليدى رافنسكروفت أصيبا بطلقة نارية فى رأسهما وهما يقومان بنزهتهما العادية .

- هل كانت الاصابة فى الرأس ؟

- الحق أننى لا أستطيع أن أؤكد لك ذلك . ولكننى على يقين من أنهما ماتا معا على الفور .

- هل كانا على وفاق تام ؟

- أو ، كانت هناك بعض الخلافات والمشاحنات فى بعض الاوقات كما يحدث فى كل البيوت ، ولكن لم يكن هناك شئ خطير .

- ألم تكن له عشيقة ؟... وهى ؟ ... ألم يكن لها عشيق ؟

- أعرف أنهم تهامسوا ببعض الاشياء ، ولكنها لم تخرج عن أنها اشاعات . ولم يكن هناك أى شئ من ذلك . انك تعرفين كيف يروق للناس اختلاق القصص التى من هذا النوع .

- لعل أحدهما ... كان مريضا .

- كانت الليدى رافنسكروفت قد ذهبت الى لندن مرتين أو ثلاثا لاستشارة الطبيب وأظن أنها كانت تنوى أن تدخل المستشفى لاجراء عملية جراحية ، ولكننى لم أعرف أبدا ما نوع هذه العملية ، والواقع انها قضت فترة معينة فى المستشفى ولكنها شفيت من غير أن تحتاج الى اجراء أية عملية ... بل انها بدت أصغر سنا عندما عادت

ولعلها أجرت أيضا علاجا لوجهها . وكانت تبدو بباروكتها ذات الخصلات رائعة فتانة..

- وسير اليستير ؟

- كان جنتلمان حقيقيا . لم أسمع أبدا أية فضيحة ولو صغيرة بخصوصه . ولكن ليس هناك أى شك فى أنه عندما تقع مأساة ما فان الناس تروج الاشاعات وتختلق أغرب القصص ، وقد قيل فى ذلك الوقت أنه وقعت له حادثة أصيب فيها بارتجاج فى المخ وهو فى الهند . وكان لى عم فيما سبق كان قد وقع من فوق جواده وأصبح بعد ذلك غريب الاطوار . ومضت ستة شهور على ذلك لم يلحظ أحد فيها أى شئ ، ثم اضطروا ذات يوم الى عزله فى ملجأ لانه أراد أن يقتل زوجته . وقد اتهمها بأنها تضطهده وأنها جاسوسة عميلة لحساب دولة أجنبية كبيرة ، ولا ندرى أبدا ماذا يمكن أن يدور بين الاسرات .

- لا أظنك تحسبين على كل حال أن هناك ذرة من الحقيقة فى القصص التى سمعتها فى هذا الموضوع وخاصة فى الشجار الذى قد تسبب فى أن يقتل أحدهما الاخر ثم ينتحر بعد ذلك .

- كلا . لا أحسب هذا حقا .

- هل كان الولدان موجودين بالبيت عندما وقعت المأساة ؟

- كلا . كانت مس سليا فى سويسرا ، وكان هذا لحسن حظها فان الصدمة كانت كفيلة بأن تكون أشد وقعا لو انها كانت موجودة فى انجلترا .

- كان هناك ولد كذلك ؟

- نعم . ادوارد . كان سير اليستير شديد الجزع عليه لان الصبى ، لسبب غير معروف كان يبدو أنه يكره أباه .

- لا أظن أن هذا بالامر الخطير جدا لان مثل هذه الاشياء كثيرة الوقوع فى بعض

الاوقات عند الاولاد . هل كان شديد التعلق بأمه .

- من رأيى انها كانت تشمله برعايتها أكثر من اللازم . كانت لا ترفض له أى طلب . وكان يبدو أن هذا يكدر الصبى . فان الاولاد لا يحبون كثيرا أن نحوطهم بعنايتنا وأن ننصحهم بأن يفعلوا هذا وأن يتجنبوا ذاك وأن يلبسوا ثوبا أكثر دفئا أو بلوفر اضافيا .

- ولكن الصبى لم يكن هو الاخر بالبيت عندما وقعت المأساة ؟

- كلا .

- هل تأثر كثيرا ؟

- لا أستطيع القول ، لاننى كنت قد انقطعت عن العمل لديهم منذ بعض الوقت . وعلى كل حال فلا يسعنى الا أن أكرر ما قلته منذ لحظة . ان الشخص الذى لم يرق له هو البستانى ويدعى فريد ويزل ، ولدى احساس بأنه اختلس أشياء وأن اليستير كان على وشك أن يطرده .

سألتها مسز أوليفر مشدوهة :- وهل يقتله ويقتل زوجته فى نفس الوقت لهذا السبب ؟

- طبعا . أن الامر كان يبدو مفهوما أكثر لو أنه قتل الجنرال وحده . ولكن لنفرض أن الليدى رافنسكروفت أقبلت فى هذه اللحظة بالذات وأنه اضطر أن يتخلص منها هى الاخرى . اننا نقرأ الكثير من مثل هذه الاشياء فى الكتب .

قالت مسز أوليفر فى تفكير :- نعم ، فى الكتب .

- ثم ان هناك المدرس كذلك .

- أى مدرس .

- كان مستر ادوارد قد وقع فريسة للمرض وتغيب عن المدرسة ستة شهور فأتاة أبوه بمدرس لازمه ما يقرب من سنة . وكانت الليدى رافنسكروفت تعجب به كثيرا لانها

كانت تحب الموسيقى وكان يحبها هو الاخر . وأظن أنه كان يدعى مستر ادموندز وفيما يتعلق بى أنا فاننى كنت أجده متكلفا بعض الشئ . ومن رأيى أن سير أليستير لم يكن يميل اليه أبدا .

- ولكن الليدى رافنسكروفت لم تكن تشاركه رأيه هذا ؟

- كانت لهما بعض الميول المشتركة ، وأظن أنها هى التى اختارته وليس الجنرال ، ولا حظى أنه كان على ثقافة عالية وأنه كان يحسن الحديث .

- والصبى الصغير ؟

- أظن انه كان يحبه كثيرا . لا تقيمى وزنا للشائعات التى يمكن أن تسمعيها على كل حال ، فان الليدى رافنسكروفت لم تكن لها علاقة مع ذلك الشاب أبدا . ولم تكن هناك أية علاقة كذلك بين سير اليستير وتلك الفتاة التى كانت تعمل سكرتيرة له كلا . صدقينى ان الذى ارتكب تلك الجريمة قد أقبل من الخارج . لم يستطع البوليس أن يكتشف أى شئ لانه لم يتعمق فى المسألة حتى النهاية ، وأظن أنه كان يجب أن يهتم بالاشخاص الذين عرفوا آل رافنسكروفت قبل عودتهما الى انجلترا ، بل ربما كان يجب أن يبحث فى بورنموث . فمن يدرى ؟

سألتها مسز أوليفر :- وما كان رأى زوجك فى هذه المسألة ؟... لم يكن يعرف عنها شيئا أكثر منك طبعا ، ولكن لاريب أنه سمع كلاما عنهما .

- أوه ، أنه سمع كلاما كثيرا طبعا ... فى الحانات ، ليلا ، فان الناس يطيب لهم اختلاق كثير من الاكاذيب ، بل أنهم لم يتورعوا عن الادعاء بأن الليدى رافنسكروفت كانت تشرب الخمر ، وأنهم وجدوا فى البيت كثيرا من الزجاجات الفارغة . وهذه فرية طبعا . وكان هناك ابن عم كذلك ، وكان يأتى من وقت لآخر لزيارتهما ، وقد قيل أنه تورط مع البوليس فى وقت ما ولكننى لا أصدق شيئا من هذا . ثم انه لم يكن موجودا عندما وقعت المأساة .

- ألم يكن هناك أحد آخر يقيم فى البيت بصفة مستمرة ؟

- كانت هناك أخت الليدى رافنسكروفت ، وكانت تأتى أحيانا ، وأظن أنها كانت أختها غير الشقيقة .. على أكبر حال كانت تشبهها كانت أقل جمالا منها ، وكانت أكبر منها بسنتين أو ثلاث سنوات . والواقع أننى أحسست دائما بأنها كانت تبذر بينهما الشقاق تقريبا فى كل مرة تأتى فيها . كانت من هؤلاء النسوة اللاتى يملن الى تعقيد الامور واشاعة القصص لا لشئ الا لازعاج الغير وتكديرهم .

- ومع ذلك كانت هى والليدى رافنسكروفت على صلات جيدة ؟

- لست واثقة من ذلك . لدى احساس بأن الاخت المذكورة كانت تفرض نفسها تقريبا وأن الليدى رافنسكروفت لم تكن تبتهج باقامتها لديهما . لعل الجنرال كان يحبها أكثر لانها كانت تجيد لعب الورق والشطرنج . ثم أنها كانت ظريفة على طريقتها الخاصة .

- وهل كنت أنت تحبينها ؟

- اذا أردت الحقيقة فكلا . لم أكن أحبها . كنت أعتبرها أداة لاثارة الشغب والكدر ، وكان لها ابن كان يأتى معها أحيانا ولم أكن أميل اليه هو الاخر ، فقد كان خبيثا شديد الخبث ، ولكن مهما يكن فعندما وقعت المأساة لم يكن أحد منهما قد أقبل منذ وقت طويل .

تنهدت مسز أوليفر وقالت :- يخامرنى احساس بأن أحدا لن يعرف حقيقة هذه المسألة أبدا ، فقد مر وقت طويل عليها . وبهذه المناسبة رأيت ابنتى فى العماد منذ بضعة أيام .

- آه ، صحيح ؟ .. وكيف حالها ؟

- على ما يرام . وأعتقد أنها تنوى الزواج . وهى تخرج مع أحد الشبان على كل حال .

- أوه ... أننا مررنا كلنا بهذا ... ولكن الفتاة لا تتزوج عادة أول من تلتقي به . وتسع مرات من عشر يكون هذا أفضل .

- أظنك لا تعرفين مسز بيرتون كوكس ؟

- بيرتون كوكس ؟ ... كلا . لا أظن ذلك . لم أسمع بهذا الاسم من قبل .

* * *

الفصل التاسع

قال جورج :- كانت هناك مكالمتان لك يا سيدى ، مكالمة من مسز أوليفر ، وكانت تريد أن تعرف اذا كانت تستطيع أن تأتى لزيارتك الليلة بعد العشاء .

- هذا جميل يا جورج فقد قضيت يوما شاقا ويسرنى أن أراها . أنها ظريفة دائما وحديثها لا يخلو من الطرافة أبدا . هل اتفق أن تحدثت عن الافيال ؟

- الافيال ؟... كلا يا سيدى .

- اذا كان الامر كذلك فلعل تحرياتها عن هذه الثدييات كان مخيبا للامال .

تأمل جورج سيده فى شئ من الدهشة . كانت هناك لحظات لا يفهم فيها ما يقصده المخبر المشهور بملاحظاته .

- اتصل بها وقل لها أنه يسرنى جدا أن تأتى لزيارتى الليلة .

مضى جورج وعاد بعد دقائق قلائل ليخبر سيده أن مسز أوليفر ستأتى فى الساعة التاسعة الا الربع .

وقال المخبر :- أعد القهوة بمجرد حضورها يا جورج . ويجب أيضا أن تأتى ببعض الحلوى .

- وبعض الخمر بلا شك يا سيدى .

- كلا . ليس هذا ضروريا . سأتناول أنا كوبا من عصير الكرز .

- حسنا يا سيدى .

***

أقبلت مسز أوليفر فى الموعد واستقبلها بوارو بكل رفق وسرور قائلا :

- كيف حالك يا سيدتى العزيزة ؟

أجابت الكاتبة وهى تتهالك فوق مقعد : - اننى متعبة جدا .

- آه ... من يذهب للصيد ... لا أتذكر البقية .

قالت مسز أوليفر مكملة :- يفقد عمله .

- ان هذا المثل لا يبدو لى على كل حال منطبقا على نوع الصيد الذى تمارسينه فى هذا الوقت ، الا اذا كنا نتكلم مجازا .

- أبدا . اننى مارست صيدا مضطربا ... هنا وهناك ... فى كل مكان . لو تعرف كمية البنزين التى استهلكتها والمبالغ التى دفعتها للسكك الحديدية ، وعدد الخطابات التى كتبتها لهالك الامر ، ولا يمكن أن تتصور الى أى حد كان كل هذا مرهقا .

- اذا كان الامر كذلك فاستجمى اذن وتناولى فنجانا من القهوة .

- اننى بحاجة فعلا الى فنجان من القهوة القوية .

- هل أستطيع أن أسأل اذا كنت قد حصلت على نتائج .

- بل حصلت على نتائج كثيرة ، ولكن الامر الذى يزعجنى هو أننى لا أعرف هل

تفيدنا فى شئ .

- ومع ذلك فأظن أنك حصلت على نتائج ملموسة .

- ملموسة ... فى هذا مبالغة كبيرة . أننى عرفت عددا من النقاط ذكروها لى على أنها حقائق ولكن لا يسعنى الا أن أبدى الشك فيما يتعلق بقيمتها الجوهرية .

- مجرد اشاعات اذن ؟

- بل أكثر من هذا على كل حال . جمعت أكداسا من الذكريات ، وأنت تعلم أننا حين نتذكر الاحداث لا نتذكرها دائما بكل الدقة .

- بالطبع . ولكننا نستطيع أن نسميها مع ذلك نتائج .

- ومن ناحيتك أنت ؟... ماذا فعلت ؟

- أنت قاسية يا صديقتى العزيزة . أتريدين منى وأنا فى سنى هذه أن أجرى وأن أتم بعض الاعمال .

- وهل جريت ؟

- أوه ، كلا . انما تبادلت بعض المحادثات مع زملاء لى .

احتجت مسز أوليفر قائلة :- يبدو هذا أسهل مما قمت به أنا نفسى . أوه ، هذه القهوة لذيذة حقا . لا يمكن أن تعرف كم أنا متعبة .

- تعب صحى ، وأنا واثق من هذا . ولكن أطلعينى على ما وصلت اليه .

- ان معى حصيلة من الايماءات والقصص المختلقة ، ولكن من العسير على أن أعرف اذا كانت حقيقية .

- ولكن قد تكون ذات فائدة اذا لم تكن حقيقية .

- أظن أننى أفهم ما تعنيه . يحدث كثيرا أن يذكر الناس الاحداث لا كما جرت فعلا ولكن كما رأوها أو كما يحلو لهم أن يبرروها .

- على الرغم من كل شئ فان تبريرهم لها يكون عادة على أساس حقائق .

– معى هنا قائمة الاشخاص الذين استجوبتهم . لا داعى لان أذكر لك أين ذهبت بالتفصيل ولماذا وماذا فعلت أو ماذا قلت . ولكن يكفى أن تعلم أننى جمعت معلومات عن بعض الاشخاص الذين عرفوا آل رافنسكروفت أو سمعوا عنهم .

– وهل تأتى هذه المعلومات من الخارج ؟

– عدد كبير منها ، وهناك معلومات أخرى استقيتها من أشخاص لم يعرفوا الزوجين الا بعد عودتهما من الخارج .

– وأظن أن كلا من هؤلاء الاشخاص المذكورين فى قائمتك قد ذكر قصة لها علاقة بالمأساة تقريبا .

– هو ذلك ، تقريبا . سأقدم لك بيانا وجيزا بكل ما عرفت .

– حسنا . ولكن خذى بعض البسكويت أولا .

قالت مسز أوليفر :– شكرا .

وأخذت كعكة صغيرة راحت تقضمها فى عزم وقالت :– كان الاشخاص الذين استجوبتهم يحسبون أنهم يعرفون ما حدث ، ولكن لم يكن لديهم أى سبب طبعا يجعلهم يعتقدون ذلك وانما كانوا يرددون فى أكثر الاوقات ما عرفوه أو سمعوه من بعض الاصدقاء والاهالى والخدم . مثال ذلك أن الجنرال رافنسكروفت كان يكتب مذكراته وكان يستخدم فتاة تقوم بأعمال السكرتارية . وكان من الممكن طبعا أن تنشأ بينهما علاقة . والواقع أن طبقة معينة من الناس حسبوا أنه قتل زوجته لكى يتزوج بعد ذلك تلك الفتاة ، ثم لم تلبث أن أفزعته الجريمة التى ارتكبها فانتحر .

– تأويل خيالى جدا .

– وحدثنى غيرهم عن مدرس كان موجودا فى الفيللا فى ذلك الوقت ، وكان يعطى دروسا للصبى الصغير الذى أرغمه المرض على أن يتغيب عن المدرسة لمدة ستة شهور . ويبدو أن هذا المدرس كان وسيما .

- آه . وتصور الناس طبعا أن الليدى رافنسكروفت وقعت فى هواه ونشأت بينهما علاقة ؟

- تماما . ولكن هنا أيضا يلعب الخيال . ثم انه ليس هناك أى دليل . وحدثنى البعض أيضا عن بستانى غير ظريف وطاهية صماء ضعيفة البصر . وقيل لى كذلك أن الليدى رافنسكروفت كانت مريضة بعض الوقت وأظن أنها فقدت بعض شعرها لانها اشترت أربع باروكات .

- أنا أيضا سمعت عن هذه الباروكات .

- من الذى أخبرك بها ؟

- أحد أصدقائى من رجال البوليس . عرض على نتيجة التحقيق . ولكن الا ترين أن أربع باروكات شىء كثير . ما رأيك فى هذا ؟

فكرت مسز أوليفر فى صمت لحظة ثم قالت :- كان لى عمة كانت تلبس باروكة . وكان لديها باروكة أخرى للغيار كانت تلبسها عندما تبعث بالاولى للتنظيف . ولكننى لم أسمع أبدا عن أمرأة تملك أربع باروكات مرة واحدة .

أخرجت مسز أوليفر دفترها الصغير من جيبها وراحت تقلب صفحاته على عجل ثم قالت :

- مسز كارستيرز ، وقد بلغت السبعين من عمرها وتخرف تقريبا ... اليك بعض الملاحظات التى نقلتها عنها . أنها تتذكر آل رافنسكروفت جيدا ... زوجان ظريفان ومأساة مؤلمة ... سرطان من غير شك . وقد سألتها عن رأيها عمن كان منهما مصابا بالسرطان ولكنها عجزت عن أن تتذكر ذلك . ثم انها تعتقد أن الليدى رافنسكروفت ذهبت الى لندن لاستشارة طبيب واضطرت الى اجراء عملية جراحية وعادت بعد ذلك الى البيت ، وقد اضطرب زوجها أشد الاضطراب فقتلها ثم انتحر .

- أهذه نظرية خاصة بمسز كارستيرز أم أنها تعرف حقائق معينة ومؤكدة .

– أخشى أن تكون مجرد نظرية للاسف . فقد رأيت أكثر من مرة انه عندما يصاب شخص بمرض مفاجئ يعتقد الناس انه مصاب بالسرطان . وحتى المرضى أنفسهم يعتقدون ذلك فى أكثر الاحيان . وهناك شخص آخر لا أذكر اسمه قال أن الزوج هو الذى كان مصابا بذلك المرض وأن هذا الامر أحزنه كثيرا وتشاور هو وزوجته وقررا الانتحار .

قال بوارو :– أمر محزن وخيالى كذلك .

– نعم ، وغير معقول أيضا . ومما يوهن العزم أن نرى بعض الناس يتذكرون أشياء كثيرة مع الايعاز فى نفس الوقت بأنهم يختلقون ما يروون .

– انهم اختلقوا تفسير الحقائق فقط ، فهم يعرفون مثلا أن شخصا ما ذهب الى لندن لاستشارة طبيب أو أن هذا الشخص نفسه قضى شهرين أو ثلاثة شهور فى مستشفى ... هذه حقيقة يعرفونها أو سمعوا عنها .

– وعندما يتحدثون عن هذه الحقيقة بعد ذلك يقدمون لك أيضاحا زيفوه هم أنفسهم دون أن يدركوا ذلك ، وهذا لا يؤدى الى أية نتيجة ، أليس كذلك ؟

– أوه ، بلى . انك على حق تماما فى ذلك اليوم الذى ذكرت فيه هذا التشبيه العجيب بالافيال . من المهم أن نعرف بعض الوقائع التى ظلت راكدة ، اذا جاز لى استخدام هذه الكلمة ، فى أذهان الناس دون وعى منهم ومن غير أن يدركوا أسبابها أو معناها لان من الجائز تماما أن تعرف أفيالك أشياء لا نعرفها نحن وليست لنا أية وسيلة الى معرفتها . ولهذا السبب تتحول بعض الذكريات الى ظنون ونظريات .. كالخيانة والمرض والغيرة والانتحار المزدوج الذى تم الاتفاق عليه وغيرها من التأويلات والايضاحات . وعلينا أن نتعمق فى تحرياتنا فيما يتعلق بالنظريات التى تبدو أكثر احتمالا من غيرها .

– ان الناس تحب الحديث عن الماضى ولكنهم يتناولون فى حديثهم أشخاصا كثيرين

بحيث لا تعرفين ماذا تفعلين .. أشخاصا يتذكرون فى غموض شيئا يتعلق بشخص ثالث لا يعرفونه وانما سمعوا عنه لا غير بحيث أن الشخصين اللذين نهتم بهما حقا ، وهما فى هذه الحالة بالذات الجنرال والليدى رافنسكروفت يبدوان لنا فى النهاية بعيدين جدا ومهتزين . صراحة لا أشعر بأن تحرياتى قد جاءتنا بشئ له قيمة تذكر .

قال بوارو :- لا تعتقدى هذا . أنا واثق أنك سوف ترين أن بعض مذكراتك ستكون لها صلة ما بالواقع . وأستطيع أن أقول لك استنادا الى التحريات التى قمت بها أنا والى التقارير والشهادات التى قرأتها أن أقول لك أن هاتين الميتتين بقيتا غامضتين بوجه خاص ، حتى فى عين رجال البوليس وعلى الرغم من نتائج التحقيق . فقد كان سير اليستير وزوجته زوجين متفاهمين متفقين ، ولم يكتشفوا أية فضيحة بشأنهما ولا أى مرض عضال يمكن أن يكون قد دفعهما الى الانتحار . اننى أتكلم طبعا فى هذه اللحظة عن الفترة التى سبقت المأساة مباشرة ولكن كانت هناك قبل ذلك الفترة الطويلة التى قضياها فى الهند .

- أعرف ذلك . وقد جمعت بعض المعلومات عن هذه الفترة بالذات ، مدتنى بها دادة عجوز تبلغ الان نحو الثمانين من العمر .

- أهى معلومات هامة ؟

- الى حد ما . تحدثت عن حادثة وقعت فى الهند ، ولكن كان يبدو أنها لا تعرف التفاصيل جيدا ، بل أننى لست متأكدة من أن لهذه الحادثة صلة بآل رافنسكروفت ومن الجائز أن تكون لها صلة بقوم آخرين لا تتذكر أسماءهم . فقد تحدثت عن حالة جنون أصابت شخصا ما ، ويبدو أن هذه الاخت قد قضت سنوات عديدة فى احدى المستشفيات الخاصة بالامراض العصبية . وأظن أننى فهمت ان هذه الاخت قتلت أو حاولت أن تقتل أولادها بالذات . وبعد عشر سنوات قيل أنها شفيت وذهبت للاقامة فى الهند مع أختها وزوجها . وعندئذ وقعت فاجعة أخرى لها صلة بالاولاد . وقد

تكتموا المسألة ولكنني أتسا لْ اذا لم يكن الجنرال رافنسكروفت تعرض هو أو زوجته في وقت من الاوقات لاضطرابات عقلية . يبدو لى أن من الجائز أن نتحرى هذا الامر .

تمتم بوارو حالما :- نعم . ان الاضطرابات التى من هذا النوع تظهر أعراضها أحيانا بعد سنوات كثيرة .

- وأظن أن هذه الدادة قد خلطت فى الوقائع أو فى الاشخاص المعنيين . ولكن قد ينطبق هذا على كل حال على ما ذكرته لى مسز بيرتون كوكس أثناء تلك المأدبة المشهورة .

- وكانت تظن أن ابنتك فى العماد قد تكون على علم بذلك .

- الواقع أن من الممكن أن تكون سليا على علم بشئ ما ، انهم اضطروا فى ذلك الوقت الى اخفاء الحقيقة عنها ، ولكن لعلها استطاعت بعد ذلك أن تعرف تفاصيل معينة عن حياة أبويها وأن تفهم من منهما قتل الاخر من غير أن تكشف على كل حال أنها تعرف شيئا ، غير أن مسز بيرتون كوكس تدعى أن ابنها يفكر فى الزواج بابنتى فى العماد . وأظن أننى أفهم لماذا تريد أن تعرف اذا كان الزوج هو الذى قتل زوجته أو اذا كان العكس هو الذى حدث . لا ريب أنها تظن أنه اذا كانت الام هى التى قتلت الاب فانه يكون طيشا من ابنها أن يتزوج هذه الفتاة فى حين أن العكس يكون أقل أهمية .

- أتعنين أن من رأيها أن الجنون يمكن أن ينتقل عن طريق النساء ، ذلك اذا كان هناك جنون ؟

- اننى كما تعلم لا أعتبرها ذكية على وجه الخصوص .

- أعترف أن النتائج التى حصلت عليها هامة ولكن ما زال أمامنا أن نفعل الكثير للاسف .

- لدى معلومات أخرى كذلك ولكنها ليست على جانب كبير من الاهمية فقد قال

لى بعضهم "آل رافنسكروفت" ؟

أتعنين هذين الزوجين اللذين تبنيا طفلا ؟ كان واحدا من أولادهما قد مات فى الهند فتبنيا ذلك الولد ، ولكن بعد أن تمت الاجراءات الرسمية أرادت الام أن تسترد ابنها واضطرت الى أن ترفع الامر الى القضاء . وحكمت المحكمة ببقاء الولد معهما وعندئذ حاولت الام اختطافه .

حك بوارو رأسه الصلعاء فى تفكير وقال :- هناك نقاط أبسط فى تقريرك أفضلها عن غيرها .

- وما هى ؟

- الباروكات .. أربع باروكات .

- أنا نفسى استغربت هذه النقطة . وقد تكون لها أهمية ما . ولكننى لا أرى صراحة الى أين تؤدى بنا ، فلا يبدو أن لها أية معنى . أما بخصوص تلك الحادثة التى وقعت فى الهند فقد ثبت أن المذنبة كانت مجنونة ولكننى لا أرى لماذا تدفع هذه القصة القديمة الجنرال رافنسكروفت وزوجته الى الانتحار .

- قال بوارو :- ربما تورطا فى هذه الحادثة .

- أتعنى أن سير اليستير وزوجته ربما قتلا ولدا غير شرعى مثلا .. كلا . أظن أن مثل هذا الظن يوقعنا فى قلب الميلودراما .

قال بوارو فى وقار مصطنع :- ان الناس فى العادة كما يتظاهرون .

- ماذا تعنى ؟

- كانت لهما كل مظاهر الزوجين المتفقين ، وكان يبدو أنهما سعيدان لا يعرفان المشاكل ولا المتاعب الصحية فيما عدا تلك العملية التى قلت منذ لحظة أن الزوجة كانت تنوى اجراءها فى وقت من الاوقات . لم يكن أى واحد منهما مهددا بمرض السرطان أو بتلوث الدم ولا أى مرض آخر خطير . لم يكن أمامهما مستقبل قاتم رأيا

لسبب من الاسباب أنهما عاجزان عن مواجهته ، ولا نستطيع أن نتصور أية امكانية أخرى ولا حتى أى احتمال ، واذا كان فى البيت وقت وقوع المأساة شخص آخر فان رجال البوليس الذين قاموا بالتحقيق لم يكتشفوا أى شئ يتعارض مع الحقائق ، ولسبب لا نستطيع معرفته لم يشأ سير اليستير وزوجته أن يستمرا فى الحياة ، فلماذا ؟

- أثناء الحرب الاخيرة اقتنع أناس كثيرون بأن الامر سينتهى بالالمان الى الهبوط فى أرض انجلترا وقد عرفت زوجين قررا الانتحار اذا وقع هذا مدعيين بأنه يستحيل عليهما العيش فى مثل هذه الظروف . وهذه حماقة طبعا فيجب أن يكون الانسان شجاعا لمواجهة الاحداث التى تقع خاصة وأن أحدا لن يستفيد من موتهما وأننى لاتساءل ..

- ماذا ؟

- حسنا .. اننى لاتساءل اذا لم يكن هناك من استفاد من موت الجنرال رافنسكروفت وزوجته .

- ربما ليس هذا بالذات . ولكن لعله كانت هناك فرصة فى أن يفلح أحدهم فى الحياة بطريقة أحسن لو أنهما اختفيا من طريقه . ولعله كان فى حياتهما شئ أرادا أن لا يعرفه ولداهما أبدا .

تنهد بوارو ثم قال :- ان المزعج معك هو أنك تفكرين فى أشياء كثيرة يمكن أن تقع . انك تقدمين لى كمية كبيرة من الافكار ولكن لو أننا نستطيع مواجهتها ! .. لو أن هناك احتمالا فى أن نستطيع الافادة منها ! .. ولكن لندرس المسألة ولنر لماذا كان من الضرورى أن يموت هذان الزوجان ؟ .. طبقا لكل الظواهر لم تكن لديهما أية متاعب ولا يشكوان من أى مرض ، كان يبدو أنهما سعيدان كل السعادة فلماذا خرجا للنزهة اذن ذات يوم على الشاطئ الصخرى ومعهما كلبهما ..

- ولكن ماذا يفعل الكلب فى هذه المسألة ؟

- الحق أننى أتساءل عن ذلك . هل اصطحباه معهما طواعية أم أن الكلب تبعهما من تلقاء نفسه ؟ نعم ماذا يفعل ؟ ما دخل الكلب فى هذه القضية ؟

- لا شئ بالطبع . ان شأنه كشأن الباروكات . مجرد نقطة لا تفسير لها ولا معنى قال لى أحد أقيالى أن الكلب المذكور كان شديد التعلق بالليدى رافنسكروفت . ولكن فيلا آخر أكد لى أنه عضها .

قال بوارو :- اننا نعود دائما الى نفس النقطة . يجب أن نعرف المزيد . ولكن ما العمل بعد مرور كل هذه السنوات ؟

- ومع ذلك فانه يبدو لى أنك استطعت أن تجلو سر قضية مماثلة . وأتذكر على الخصوص موت فنان .. رسام قتل على شاطئ البحر واكتشفت أنت المجرم دون أن تعرف القوم الذين كانوا يعيشون معه .

- صحيح اننى لم أكن أعرف أحدا منهم ، ولكننى عرفت أشياء كثيرة من أشخاص كثيرين ..

قالت مسز أوليفر :- حسنا . هذا ما أحاول أن أقوم به . ولكننى حتى الآن لم أستطع أن أعثر على شخص يستطيع أن يخبرنى بشئ له قيمة . ليس هناك من رأى الاحداث عن كثب . هل ترى أنه يجب أن ننفض أيدينا ؟

- لا أظن أن هنا من الحكمة فى شئ . ولكن تأتى لحظة للاسف لا نتمنى فيها أن نستمع الى نصائح العقل فى نفس اللحظة التى نريد أن نعرف فيها المزيد . أعترف بأننى أصبحت أهتم الان بهذين الزوجين وهذين الطفلين .. وبهذه المناسبة كيف حال هذين الاخيرين ؟

- لا أظن أننى التقيت بالولد أبدا ، ولكن اذا أردت أن تتعرف بابنتى فى العماد فاننى أستطيع أن أبعث بها اليك .

- أحب أن أراها . ولكن ربما لا تحب هى المجئ هنا . واذا صح ذلك فيمكننا أن

تدبر لقاءكما لو كان الامر جاء عرضا . نعم . لعل هذا اللقاء يكون مهما . ثم هناك شخص آخر أحب أن أراه كذلك .

– ومن هو ؟

– صديقتك مسز بيرتون كوكس .

– انها ليست صديقتى أبدا . اننى لم أرها غير مرة واحدة أثناء تلك المأدبة التى حدثتك عنها .

– ولكننى أظن أنك تستطيعين أن تلتقى بها من جديد ؟

– بكل سهولة . ما على الا أن أرفع أصبعى الصغير حتى أراها تهرع الى .

– يهمنى أن أعرف لماذا ألقت عليك هذا السؤال .

– نعم . أظن أن الرد على هذا السؤال قد يكون مفيدا ، ثم يسرنى أن أستريح قليلا . يبدو لى أنه قد جاء دورك الان فى اكتشاف أفيال أخرى .

***

الفصل العاشر

بعد يومين من هذا الحديث كان هركيول بوارو يحتسى فنجانه الصباحى من الشكولاته وهو يقرأ للمرة الثانية رسالة وجدها بين بريد اليوم .

" عزيزى مستر بوارو

أخشى أن تستغرب خطابى هذا ، ولهذا أرى من الطبيعى أن استشهد باحدى صديقاتك وهى مسز اريان أوليفر الكاتبة المعروفة . وقد حاولت أن اتصل بها لكى تدبر لى لقاء معك ولكننى لم أجدها فى بيتها فى الوقت الحالى . وقد حملتنى سكرتيرتها على الاعتقاد بأنها ذهبت للصيد فى مكان ما من افريقيا ، واذا صح هذا فانها ستغيب مدة طويلة . وعلى ذلك فاننى واثق أنها ما كانت لتحجم عن مساعدتى . وأود لو أن أستطيع مقابلتك لاننى بحاجة ماسة الى النصح والمشورة .

وقد علمت أن مسز أوليفر التقت بأمى فى احدى المآدب الادبية ، واذا سمحت لى ورضيت أن أزورك فى الوقت الذى يناسبك فاننى أكون ممتنا لك لانك بذلك تسدى الى خدمة كبيرة . ولا أدرى اذا كان لهذا أهمية ما ولكن سكرتيرة مسز أوليفر ذكرت كلمة " أفيال " . وأظن أن لها صلة برحلتها الى افريقيا وان كانت السكرتيرة قد نطقت بهذه الكلمة كما لو كانت " كلمة سر " . ولا أفهم شيئا عما تقصده بهذه الكلمة ولكن لاريب أنك تعرف ما تعنيه . اننى شديد القلق والجزع وأكون شاكرا لك اذا استطعت

مقابلتى .

وأرجو يا عزيزى مستر بوارو أن تتقبل عاطر تحياتى .

دسموند بيرتون كوكس "

***

صاح المخبر :- عجيب !

- معذرة يا سيدى

- لا شك يا جورج . انما هو تعجب بسيط فعندما تجتاح حياتك أمور معينة فان من العسير أحيانا أن تتخلص منها ، وفيما يتعلق بى انا فيبدو انها مسألة أفيال .

واستدعى سكرتيرته الامينة مس ليمون وأعطاها خطاب دسموند كوكس وهو يطلب منها أن ترد على الشاب وقال :- اننى لست مشغولا جدا فى الوقت الحاضر ويمكنك أن تحددى له موعدا فى الغد .

- هل الامر يتعلق بحديقة الحيوانات ؟

- كلا بكل تأكيد . لا داعى لان تتكلمى عن الافيال فى خطابك على كل حال .

***

قال جورج وهو يتقدم الزائر :- مستر دسموند بيرتون كوكس .

وكان بوارو قد نهض واقفا واعتمد بظهره على برقع الموقد فى هيئة وقورة . لزم الصمت بضع لحظات ثم تقدم الى الامام . وكان قد كون لنفسه رأيا عن الشاب الذى يقف أمامه . كان شابا نشيطا ، ولكنه كان يبدو مع ذلك عصبيا بعض الشئ ويبذل مجهودا ظاهرا لاخفاء اضطرابه .

وقال وهو يمد يده :- مستر هركيول بوارو ؟

- نعم تفضل بالجلوس يا مستر دسموند بيرتون كوكس واذكر لى الاسباب التى حدتك الى طلب مقابلتى .

- أخشى أن أكون قد أتيتك فى أمر شديد الحساسية .

- ان الحياة حافلة بأمور شديدة الحساسية ، ويمكنك أن تتكلم دون أن تخشى شيئا . اننى مصغ اليك .

تأمل دسموند فى شئ من الدهشة والقلق الرجل العجيب الذى يقف أمامه ، فأوما المخبر السرى ، برأسه التى أشبه بالبيضة وشاربه الضخم بدا مضحكا وغريبا فى نفس الوقت وكبير الاختلاف عن الرجل الذى كان يتوقع أن يراه .

- أنت .. أنت مخبر سرى ، أليس كذلك ؟ .. أظن أنهم يأتونك ويطلبون منك .. اكتشاف أشياء معينة .

- هذه مهنتى فى الواقع .

- لا أظنك تعرف لماذا أتيتك ؟

- اننى على علم ببعض الامور مع ذلك .

- هل حدثتك مسز أوليفر عنى .

. قالت لى بوجه خاص أنها تبادلت حديثا مع ابنتها فى العماد ، مس سليا رافنسكروفت.

- نعم . ان سليا ذكرت لى ذلك .. ولكن مسز أوليفر .. هل تعرف أمى ؟.. أعنى هل تعرفها معرفة وثيقة ؟

- طبقا لما فهمت فهى لم تلتق بها الا مرة واحدة فى مأدبة أدبية أقيمت حديثا ولم يدر بينهما غير حديث قصير ، وأظن أن والدتك طلبت من مس أوليفر طلبا خاصا .

قطب الشاب جبينه وقال فى استياء خفيف :- لم يكن لها أبدا أن تهتم بهذا الامر.

أ جاب بوارو :- اننى أفهمك ولكن ماذا تريد ؟ . ان كثيرا من الامهات يعتقدن أنهن يجب أن يفعلن شيئا يتمنى أولادهن أن تجنبهن اياه . هل أنا مخطئ ؟

- كلا . ولكن أمى تتدخل فى أمور كثيرة لا تعنيها أبدا .

- اذا لم أخطئ فانه تربطك بسليا راقنسكروفت صلات طيبة . وقد أعتقدت مسز أوليفر أن هناك مسألة زواج .

- هذا صحيح . ولكن أمى لم تكن بها حاجة الى أن تذهب وتلقى أسئلة محرجة عن أحداث ماضية لا تعنيها .

أجاب بوارو وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :- ان الامهات غالبا كذلك . ولا ريب أنك شديد التعلق بأمك .

- لن أحاول الادعاء بهذا .. كلا طبعا .. ومن الاوفق أن أخبرك بذلك فورا .. انها ليست أمى الحقيقية .

-أوه ، لم أكن أعرف هذا .

- مات ابنها الصغير فتبنتنى وربتنى كما لو كنت ابنها . وهى تتكلم عنى دائما كما لو كنت ابنها حقا ولكننى لست كذلك . ثم أن كلا منا لا يشبه الاخر ولا يرى الامور بنفس الطريقة .

- هذا واضح .

- ومع ذلك فاننى لم أتعرض بعد للموضوع الذى أتيتك من أجله .

- أظن أنك تتمنى أن أتحرى عن أحداث معينة تقلقك .

- هو ذلك تقريبا .. لا أدرى ماذا تعرف بالضبط .

- أشياء قليلة فى الواقع .. ولكننى لا أعرف التفاصيل على كل حال ، اننى أجهل كل ما له علاقة بك تقريبا . وكذلك بمس راقنسكروفت التى لم اتشرف بمقابلتها بعد .

- أعترف بأننى فكرت لحظة فى اصطحابها معى ثم بدا لى أن من الاوفق أن أتحدث معك على حدة أولا .

- انك تصرفت بحكمة . هل تشعر الان بصعوبات خاصة دفعتك الى زيارتى .

- ليست صعوبات فى الواقع .. ان الحادث الذى يلاحقنا وقع ، منذ مدة طويلة وكانت سليا لا تزال طفلة . مأساة مستغلقة أو بوجه أصح مازالت مستغلقة ، فان شخصين روعهما شئ لا نعرفه أقدما على الانتحار . ويبدو أنه ليس هناك من يعرف أى شئ عن الاسباب التى تسببت فى هذه المأساة ، وعلى الرغم من ذلك فان أمى تصر على القاء أسئلة كثيرة واستطاعت بذلك أن تضع سليا فى موقف لم تعد المسكينة تعرف فيه ان كانت تتمنى أن يتم زواجنا أم لا .

- وأنت ؟ .. هل مازلت تتمنى أن تتزوجها .

- طبعا . اننى مصمم على هذا كل التصميم وذلك على شرط أن لا تكون قد غيرت رأيها . ولكننى أشعر بأنها قلقة وعصبية . انها هى الاخرى تريد أن تعرف الحقيقة ، وتظن ، وربما على خطأ ، أن أمى تعرف شيئا ما .

أجابه بوارو :- اننى أشعر بعطف كبير من نحوك ولدى احساس بأنكما شابان عاقلان ، وفى هذه الظروف ، واذا كنتما تتمنيان الزواج حقا فلا أرى سببا يمنعكما من ذلك . ويجب أن أقول أنهم زودونى ، بناء على طلبى ، بعدد كبير من المعلومات بخصوص هذه المأساة المحزنة ، وكما قلت لى أنت منذ لحظة فان هذه المأساة أصبحت ملك الماضى ولم يكتشف أحد سرها حتى الان . ولا شك أنك تعرف أنه ، فى الحياة ، لا يمكن أن نهتدى أبدا الى تفسير كل الاحداث .

أكد الشاب قائلا :- كان انتحارا مزدوجا ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ولكن ..

- تريد أن تعرف الدافع اليه ، أليس كذلك ؟

- نعم . ان سليا قلقة لهذا السبب وأنا الاخر تملكنى القلق . ومن الطبيعى أننى لا أستطيع أن أعرف شيئا لاننى لم أكن فى ذلك الوقت فى مكان المأساة .

- لم تكن تعرف سليا أو أبويها عندئذ اذن ؟

- أوه ، بل كنت أعرفهم . وأستطيع أن أقول أننى عرفت سليا دائما فان القوم الذين كنت أذهب لقضاء أجازاتى عندهم كانوا يقيمون على مقربة منهم . ومنذ ذلك الوقت كنت أنا وسليا رفيقين طيبين وكنا نتفاهم جيدا . ثم اننا افترقنا بعد ذلك وبقينا سنوات كثيرة من غير أن نلتقى . وكان أهلها وأهلى يقيمون عندئذ فى ماليزيا ، وأظن أنهم ظلوا هناك . ثم مات أبى ولا ريب أن أمى سمعت بعض الاشياء وهى فى الهند وتذكرتها الان واعتقدت أن كل ما سمعته صحيح . ولكن لا يمكن أن يكون الامر كذلك .. لا يمكن . ولكنها تنفك تضايق سليا فى هذا الصدد وأحب أن أعرف ما الذى حدث بالذات ولماذا ؟ ولكننى لا أريد قصص نساء ثرثارات وانما أريد الحقيقة .

- من الطبيعى أن تحس بهذا الاحساس وأن تحس به سليا أكثر منك . ولكن هل لكل هذا أهمية فى الواقع . ان الذى يهم الان انما هو الحاضر والفتاة التى تريد أن تتزوجها . ماذا يهمك من الماضى . سواء أن يكون أبوا سليا قد ماتا منتحرين أو أن يكون أحدهما قد قتل الاخر ثم انتحر بعد ذلك فهل لهذا أهمية أكثر مما لو كانا قد قتلا فى حادث سيارة .

- أعترف بأن ما تقول معقول تماما ولكن الامور وصلت الان الى حد أننى أرى من الضرورى أن تطمئن سليا لانه حتى اذا كانت لا تنطق بكلمة فانها شديدة القلق .

- ألم يخطر ببالك أنه قد يكون من العسير ان لم يكن من المستحيل أن نكتشف ما حدث حقا ؟ ألا تنوى أن تعهد الى بمهمة قد لا أستطيع أن أفلح فى الاضطلاع بها ؟

- أريد منك أن تحاول معرفة الحقيقة .. لعل القضية ليست من النوع الذى يستهويك أو يثير اهتمامك .

هز بوارو رأسه فى بطء وقال :- ليس عندى أى اعتراض فى أن أهتم بهذه القضية بل اننى أستطيع أن أعترف لك بأنها قد ترضى فضولى ، والسؤال الذى أحب أن ألقيه

عليك الان هو : - هل من الحكمة أو من الضرورى أن نذهب فننقب فى الماضى ؟

- ربما لا .. ولكن من يدرى ..

وقاطعه بوارو :- وفق ذلك ، ألا تدرى مثلى أننا قد نواجه استحالة مادية بعد طول هذا الوقت .

- كلا . لا يمكننى أن اتفق معك فى هذه النقطة ، بل أعتقد على العكس بأنه ليست هناك أية استحالة .

- هذا هام جدا . هل أستطيع أن أعرف السبب .

- هناك شخصان من الممكن أن يعرفا أمورا معينة . لسبب وجيه وهو أنهما أقاما مدة كبيرة عند آل رافنسكروفت .

- ولماذا لا تذهب وتراهما أنت نفسك ؟

- أستطيع ذلك بكل تأكيد . ولكن هناك أسئلة سأحجم عن القائها ، ولن تحب سليا أن تقدم على ذلك هى الاخرى ، ليس لان هذين الشخصين بغيضان أو كثيرا الكلام ، ولكن لان رجال البوليس استجوبوهما فيما سبق ولم يستطيعا بلا شك أن يقدما لهم أية معونة . أوه ! اننى أدرك أننى لا أحسن التعبير .

- أبدا . وسليا رافنسكروفت ؟ هل اتفقت معك على ذلك .

- لم أحدثها فى هذه النقطة لانها كانت تحب مادى وزيليا كثيرا .

قال بوارو مشدوها :- مادى وزيليا ؟

- سأحاول أن أشرح لك . عندما كانت سليا طفلة .. عندما التقيت بها لاول مرة كانت أسرة كل منا تقيم على مقربة من الاخرى . وكانت لديهم وصيفة قامت فى وقت من الاوقات بمهام المربية . وقد اختصرت سليا كلمة " مدموازيل " الى " مادى " . وانتهى الجميع الى اطلاق هذا الاسم على الفتاة ، وكانت تشاركنا لهونا فى بعض الاوقات وتبدى نحونا رقة كبيرة .. وقد رأيت الان أنه بصفتك فرنسيا فانها قد تطلعك

على ما لم تشأ اطلاع الاخرين عليه .

- ومن هو الشخص الثانى الذى ذكرته ؟

- نفس الشئ تقريبا ، بقيت " مادى " . سنتين أو ثلاثا عند آل رافنسكروفت بعض الوقت ثم عادت الى فرنسا .. أو الى سويسرا .. لا أدرى بالضبط . وحلت الاخرى محلها ، وقد أطلقت عليها سليا اسم " زيليا " . ونادها الجميع بهذا الاسم . كانت لا تزال شابة وجميلة وظريفة جدا . كنا نعبدها تماما وأظن أنها كانت تحبنا كثيرا هى الاخرى . وكان الجنرال معجبا بها هو الاخر ، على طريقته لانهما كانا يلعبان الورق معا .

- والليدى رافنسكروفت ؟

- أوه .. انها كانت تحب زيليا كثيرا . ولهذا السبب بالذات عادت الفتاة الى خدمتها بعد رحيلنا .

- عادت ؟

- نعم . فعندما مرضت الليدى رافنسكروفت ودخلت المستشفى عادت زيليا لكى تعنى بها ، وأظن ، بل أننى أكاد أكون واثقا من أنها كانت موجودة عندما وقعت المأساة ، ولا ريب أنها تعرف ما وقع حقا .

- هل تعرف عنوانها الحالى ؟

- نعم . وكذلك عنوان مادى . ولعلك تستطيع أن تذهب للقائهما . أعلم أننى أطلب منك الكثير ولكن ..

وأمسك الشاب فجأة وتأمله بوارو فى صمت بضع لحظات ثم تمتم أخيرا :

- نعم . لاريب أن هذا فى مقدورك فى الواقع .

***

القسم الثانى

أشباح الماضى

الفصل الحادى عشر

الرأى

قدم جورج كأسا من الويسكى القوى للقوميسير جاروواى فى حين راح هذا الاخير يتأمل بوارو ، وكان جالسا امامه فى الناحية الاخرى من المائدة . واقترب الخادم بعد ذلك من سيده ووضع أمامه كوبا به مشروب احمر ضارب الى اللون البنفسجى .

وقال جاروواى :- ما هذا الذى تشربه ؟

- عصير الكرز .

- لكل امرىء ميوله الخاصة . قال سبنس ذات مرة أنك تتناول فى أغلب الاحيان التليو الساخن .

- آه ، انه احسن علاج لهبوط الحمى .

قال القوميسير وهو يرفع كأسه :- اوه . مهدئ للمرضى !.. حسنا .. انتى أشرب نخب الانتحار .

سأله بوارو فى هدوء :- كان انتحارا اذن .

- وماذا تريد أن يكون غير ذلك ؟ ان لك افكارا غريبة .

وهز رأسه فى بطء وابتسم وقال المخبر السرى :- يؤسفنى أننى أشركتك فى هذا الأمر . ولكنك تعلم اننى أشبه بهذا الطفل الذى تحدث عنه كبلنج فى رواياته اننى أعانى من فضول لا يشبع .

- ان كبلنج كان يكتب قصصا جميلة .. كان رجلا مدهشا ، وقد أكدوا لى انه كان يكفيه أن يقوم بنزهة صغيرة فى مدمرة لكى يعرف عنها أكثر مما يعرفه أى مهندس فى البحرية الملكية .

- أما أنا فلا أعرف كل شئ للاسف . وعلى هذا يجب ان ألقى أسئلة ، وأظن اننى أرسلت اليك قائمة طويلة منها .

قال القوميسير :- ما يثير دهشتى منك دائما هو طريقتك فى الوثوب من موضوع الى آخر . تقارير الاطباء والنفسانيين .. من الذى كان يملك النقود ومن الذى ورثها ومن الذى كان يتوقع شيئا منها ولم يحصل عليه والباروكات وعناوين المتاجر التى باعتها ..

- وكيف تعرف كل هذا ؟ واعترف لك ان هذا قد أثار دهشتى انا الاخر .

- كانت القضية مستغلقة الى حد ما ولهذا جمعنا عددا كبيرا من الاقوال والشهادات ولكنها لم تفدنا كلها بأى حال من الاحوال . غير أننا احتفظنا بالتقارير على كل حال .

اوجين وروزلين .. كانا يملكان محلا للتجميل فى شارع بوند وانتقل فيما بعد الى شارع سلون ، وعندك العنوان الصحيح . ولكنه الان محل لبيع الحيوانات الصغيرة الاليفة : الكلاب والقطط والبيغاوات وغيرها . أما روزلين فتقيم فى شلتنهام الان وتدير محلا باسم " صالون الامراء " . وهو اسم أظن انه يتفق مع الموضة الحديثة والامر كما كان يقال وانا صغير : نفس الرجل ولكن بقبعة مختلفة .

ضج بوارو ضاحكا :- ها . ها .

- ما الذى يضحكك ؟

- إشكرك كثيرا لانك اعطيتنى الان فكرة أخرى ، وانها لطريقة غريبة تلك التى ترد بها الافكار الى أذهاننا أحيانا .

- من المزعج انه ترد الى اذهاننا افكار كثيرة .. واذا أنت تجمع افكارا فوق افكار ولكن ، اننى تعمقت بقدر ما استطعت فى حياة تلك الاسرة بدون نتيجة تقريبا . كان اليستير رافنسكروفت من أصل اسكتلندى .. ابن قسيس .. استبسل اثنان من اعمامه فى الجيش وتزوج هو بمرجريت برستون جراى ، وهى فتاة من أسرة طيبة مثلت أمام البلاط وليس هناك أثر لاى فضيحة فى حياتهما . وكنت أنت على حق ، وان كنت لا أعرف كيف عرفت ذلك ، حين قلت انه كان لها أخت توءم .. دوروتيا . وكانت مشهورة باسم دوللى . كان آل برستون جراى يقيمون فى هاترز جرين فى اقليم سوسكى وكانت الفتاتان تتشابهان بشكل غريب ، كما هو كثير الحدوث فى مثل هذه الحالة . وقد نبتت سنتها الاولى فى نفس اليوم ومرضتا بالحصبة فى نفس الاسبوع وكانتا ترتديان دائما ثيابامن نوع واحد وتزوجتا فى نفس الوقت واقترنت كل منهما بضابط وقد مات الطبيب الذى كان يعالجهما وهما طفلتان منذ بضع سنوات وهذا أمر مؤسف جدا لانه يبدو أنه كانت هناك مأساة تتعلق بواحدة منهما .

- الليدى رافنسكروفت ؟

- كلا . بل الاخرى . تلك التى تزوجت ضابطا يدعى الكابتن جارو وانجبت منه طفلين ، واصغرهما ولد صدمته عربة صغيرة وهو فى الرابعة من عمره فأصابته فى رأسه ووقع فى حوض بالحديقة حيث غرق لتوه . والظاهر ان الغلطة كانت غلطة اخته وكانت فى التاسعة من عمرها عندئذ . كانا يلعبان ثم تشاجرا ووقعت المأساة بهذه الطريقة . ولا يبدو أن هناك أى شك ومع ذلك فقد كانت هناك رواية أخرى تقول ان الام غضبت لسبب من الاسباب وضربت الصبى ثم ألقت به فى الحوض . ولكننى لا أظن ان

لهذه التفاصيل أهمية لك حيث أنها لا علاقة لها بانتحار آل رافنسكروفت الذى وقع بعد ذلك بسنوات .

قال بوارو :- ليس لها أهمية كما يبدو ولكننى أريد أن أعرف سوابق الجميع .

- أرجو ان تلاحظ ان هذا الحادث وقع قبل موت الجنرال رافنسكروفت وزوجته بسنوات كثيرة .

- اظن أنهم قاموا بالتحقيق فى ذلك الوقت ؟

- طبعا . وقد استطعت أن أعثر على الملف الخاص به ، وكذلك أقوال الصحف وتقوم كلها على عدد من التساؤلات على أن الام قد أحزنها هذا الحادث كل الحزن واضطروا الى ادخالها المستشفى . ويقال ان الحادث اصابها بصدمة كبيرة وانها تغيرت ولم تعد ابدا الى سيرتها الاولى .

- ومع ذلك فان البعض اعتقدوا أنها مذنبة .

- يبدو ان هذا كان رأى الطبيب . ولكن لم يكن هناك أى دليل قاطع . ان المرأة الشابة ادعت أنها شهدت المأساة من إحدى نوافذ البيت ، وانها رأت الطفلة تضرب اخاها ثم تدفعه الى الحوض . ولكن أقوالها كانت مفككة وغير مترابطة فلم يأخذوها مأخذ الاعتبار .

- أظن انه كان هناك أيضا تقرير الطبيب النفسانى .

- طبعا . نقلت المرأة الى احدى المستشفيات لانه ظهرت عليها أعراض واضحة تدل على اضطراب ذهنى . وأظن انها عولجت فى مستشفيين مختلفين وظلت مدة طويلة تحت رعاية طبيب متخصص بمستشفى سانت اندريه بلندن ، وأخيرا وبعد ثلاث سنوات قرروا أنها شفيت واعادوها الى بيتها .

- هل أصبحت طبيعية جدا ؟

- أحسب أنها بقيت عصبية بعض الشئ .

– وهل كانت تقيم مع آل رافنسكروفت عندما وقعت المأساة .

– أوه ، كلا . لسبب بسيط وهى انها كانت قد ماتت قبل ذلك بثلاثة أسابيع . كانت حالتها قد ازدادت سوءا منذ بعض الوقت ، وكانت تتألم من اضطرابات مختلفة وعلى الأخص كانت تسير وهى نائمة . كانت تتناول فى بعض الاحيان كمية من الاقراص المنومة ثم تهيم لمدة فترة من الليل فى البيت وفى الخارج كذلك . وذات مساء انطلقت فى طريق الشاطئ الصخرى وفقدت توازنها وماتت على الفور ولم يعثروا على جثتها الا فى صباح اليوم التالى . وقد حزنت الليدى رافنسكروفت لموتها كثيرا لان كلا من الاختين كانت شديدة التعلق بالاخرى ، واضطروا الى ادخالها المستشفى .

– ايمكن ان يكون هذا الحادث قد دفع آل رافنسكروفت الى الانتحار بعد ذلك بأسابيع .

قال القوميسير جارووای :– ان لك افكارا كثيرة أكثر من اللازم يا بوارو . ما كان اليستير رافنسكروفت ليستطيع ان تكون له علاقة بأخت زوجته دون أن يعلم الجميع . اذا كان هذا هو ما تحاول الايعاز به فاننى استطيع ان أؤكد انك مخطئ كل الخطأ .

صلصل التليفون فجأة فنهض المخبر السرى لكى يرد ، وعرف على الفور صوت مسز أوليفر :

– مستر بوارو ؟ .. الديك ما يشغلك بعد ظهر غد ؟ اذا لم يكن لديك ما يشغلك فهل يمكنك القدوم ساعة الشاى ؟.. اننى انتظر سليا وستأتى مسز بيرتون كوكس بعدها بقليل .

أجاب بوارو بأنه لن يدع مثل هذه الفرصة تفوته وعادت الكاتبة تقول :

– أننى اعتمد عليك . سأتركك الان لكى أذهب لزيارة جندى عجوز ، مستر هوجو فوستر قد حدثتنى مسز كارستيرز عنه وأعطتنى عنوانه .

***

الفصل الثاني عشر

سليا تلتقى بهركيول بوارو

- حسنا يا سيدتى العزيزة ... ما هى نتيجة زيارتك لمستر هوجو فوستر .

- اولا لم يكن اسمه فوستر وانما فوذ رجيلى . ليس هناك من يخلط الاسماء كما تفعل جوليا ، فهى لا تحفظ الاسماء ابدا .

- الافيال ضعاف الذاكرة اذن فى بعض الاحيان .

- لا تحدثنى عن الافيال بعد ذلك ، فقد فرغت منهم .

- والجندى العجوز ؟

- انه رجل عجوز جدا ولكن لا نفع منه ابدا بصفته مصدرا للمعلومات .. تستبد بذهنه حادثة وقعت لاسرة باسم مارشانت مات أحد أطفالهم فى حادث فى الهند لا صلة له بآل رافنسكروفت . أؤكد لك مرة أخرى أننى فرغت من الافيال .

- انك اقمت الدليل على كل حال على مثابرة جميلة .

- ستأتى سليا بعد نصف ساعة وقلت لها أنك ستكون هنا . هل كنت تفضل ان تزورك فى بيتك ؟

- كلا . هنا أفضل .

- أرجو أن لا تبقى كثيرا ، واذا استطعنا أن نتخلص منها بعد ساعة فسيكون امرا رائعا . فسنجد أمامنا عندئذ متسعا من الوقت لكى نتبادل الرأى قبل قدوم مسز بيرتون كوكس .

- اننى واثق ان حديثنا لن يخلو عندئذ من فائدة .

تنهدت مسز أوليفر وقالت :- يبدو لى الان أن لدينا موادا أكثر مما يجب فماذا نستخلص منها ؟

- اننى فرزتها وكتبت قائمة صغيرة . هل تريدين رؤيتها ؟

جلست مسز أوليفر بجوار المخبر وراحت تقرأ القائمة من فوق كتفه .

وقالت وهى تضع أصبعها على أول سطر :

- الباروكات ... لماذا ؟

أجاب بوارو فى رفق :- أربع باروكات .. اننى استغرب هذا الامر .. نعم ، هذه نقطة هامة ولكن من العسير حلها .

- أظن ان المحل الذى اشترتها منه الليدى رافنسكروفت لم يعد موجودا الان . ويخامرنى احساس بأن النساء لم تعد تلبس الباروكات كثيرا كما كن يفعلن منذ سنوات

هز بوارو رأسه متشككا وقال :- مهما يكن من أمر فلدينا هنا نقطة هامة . وهناك نقاط أخرى . كذلك هذه الاضطرابات العقلية فى الاسرة مثلا .. قضت أحدى التوءمتين بضع سنوات فى مستشفيات مختلفة .

- يبدو أن هذه النقطة لا تقودنا الى أى شئ .. كان يمكنها طبعا أن تقتل أختها وزوجها . ثم لدينا مسألة الطفل الغريق فى الهند . ربما اغرقته اخت الليدى رافنسكروفت وربما اغرقته امرأة غيرها ، ثم هناك نقطة آخرى وهى المال .

سألته مسز أوليفر فى دهشة :- واين يظهر المال فى كل هذا ؟

- انه لا يظهر فى هذه القضية بالذات ، وهذا ما يدعو الى الاستغراب ، فان المال يظهر فى جميع القضايا تقريبا . اننا سمعنا عن مغامرات غرامية .. سواء كانت صحيحة أو وهمية .. نساء من الجائز انهن استلمن الزوج ورجال ربما راقوا للزوجة . ولكننا لم نسمع عن المال أبدا .. ثم نصل بعد ذلك الى النقطة التى تزعجنى أكثر من غيرها ، ولهذا أتلهف للقاء مسز بيرتون كوكس .

- لا أرى الاهمية التى يمكن ان تتخذها فى عينيك هذه المرأة البغيضة التى أصرت على ان اتحرى عن احداث معينة سرا .

- ولماذا طلبت منك ذلك ؟ ان هذا غريب . والواقع انه لدى احساس تام بأنه ينبغى ان نكتشف الدافع لفضولها هذا ، فهذه المرأة هى همزة الوصل .

- همزة الوصل ؟

- نعم . اننا لا نعرف أكثر من أنها تريد أن تعرف الكثير عن هذا الانتحار ، ويبدو لى انها هى الرابطة التى ترتبط فى نفس الوقت بابنتك فى العماد وابنها الذى ليس ابنها .

- ليس ابنها ؟.. ماذا تعنى ؟

- انها تبنت دسموند بعد أن مات ابنها هى بالذات .

- ومتى مات هذا الاخير .. واين ؟ وكيف ؟

- سبق ان القيت على نفسى كل هذه الاسئلة ، ولهذا بالذات من المهم أن أرى هذه المرأة .

ودق جرس الباب فى هذه اللحظة فغادرت مسز أوليفر الغرفة لكى تفتح . ولم تلبث أن عادت وبصحبتها سليا رافنسكروفت . وبدت الفتاة مترددة وبدأت تقول :

- لا أعلم اذا كنت ...

وأمسكت واتسعت عيناها وهى تنظر الى هركيول بوارو ، وقالت الكاتبة :

- اسمحى لى أن أقدم لك شخصا يساعدنى فى مهمتى وأرجو أن يساعدك أنت أيضا . أنه مستر هركيول بوارو كما قلت لك ، وله موهبة كبيرة هى اكتشاف مالم يفلح الاخرون فى الاهتداء اليه .

تمتمت سليا :- أوه .

ونظرت فى ذهول الى الرجل القصير الذى يقف أمامها والى رأسه التى تشبه البيضة والى شاربه الضخم وقالت فى ارتباك :

- يبدو لى أننى سبق أن سمعت عنه .

امسك بوارو عن الرد حتى لا يقول ان العالم كله يسمع عن مفاخره وقال :

- اجلسى يا آنسة .. يجب أن أخبرك أولا بأننى حين أبدأ مهمة فاننى أمضى فيها حتى النهاية .

سأكتشف الحقيقة ، واذا كانت مطابقة لما تتمنين فسأذكرها لك . ولكن لعلك تريدين الاطمئنان فحسب . سيكون هذا شيئا مختلفا تماما . يمكننى أن اكتشف عدة وجوه للقضية يمكن أن تدخل الاطمئنان الى نفسك ، فهل يكفيك هذا ؟... اذا كان الجواب نعم فلا تطلبى منى شيئا أكثر .

جلست سليا على المقعد الذى قدمه لها المخبر ثم نظرت اليه فى وقار وقالت :

- انك لست واثقا من أننى أريد أن أعرف الحقيقة ، أليس كذلك ؟

- أظن أن هذه الحقيقة كفيلة بأن تسبب لك صدمة وألما ويمكنك عندئذ أن تقولى : لماذا نبشت الماضى ولماذا أردت أن أعرف بكل ثمن ؟

- منذ وقت طويل وأنا ألقى على نفسى أسئلة يا مستر بوارو ، وقد حاولت كثيرا أن أفهم ولو بالاشارة ما يقوله الناس ... هؤلاء الذين ينظرون الى فى شئ من الرثاء كما لو أننى أكاد أن أكون بهيمة غريبة ، ولا أريد أن يستمر هذا ... أريد الحقيقة .. وأشعر بأننى جديرة بأن أواجهها .

وأمسكت الفتاة لكى تستطرد بعد لحظات :- ولكن ، قل لى . انك التقيت بدسموند أليس كذلك ؟ قال لى أنه ذهب لزيارتك .

- هذا صحيح . أما كنت تتمنين أن يأتى لاستشارتى ؟

- أنه لم يأخذ رأيى .

- ولكن ماذا كنت تفعلين لو أنه أخذ رأيك ؟

- لا أدرى . لا أدرى هل كنت أمنعه من الذهاب اليك أو على العكس ، أشجعه على ذلك .

- أريد أن ألقى عليك سؤالا يا آنسة .. أجب أن أعرف اذا كان فى ذهنك شئ له أهمية جوهرية حقا ... شئ يمكن ان يكون أهم من أى شئ آخر .

- ماذا تعنى ؟

- جاء دسموند بيرتون كوكس لمقابلتى ، وهو شاب ظريف جذاب وقد كلمنى بكل جد عن الموضوع الذى يشغله . والنقطة الهامة فى هذا الموضوع هى : هل تريدين أن تتزوجى حقا ؟ لان هذا أمر جدى ، فعلى الرغم من أن شباب اليوم ليسوا دائما من هذا الرأى فان الزواج رباط مقدس خلق لكى يدوم دوام الحياة ، فهل هذا ما تتمنين ؟ اذا كان الجواب نعم فسواء مات أبواك منتحرين أو بأية طريقة اخرى فما أهمية ذلك بالنسبة لك ولدسموند ؟

- وأى تأثير يمكن ان يكون له على مستقبلكما ؟

- أنت تظن أن موت أبوى يمكن أن يكون راجعا الى .. شئ آخر غير الانتحار المزدوج ، أليس كذلك ؟

- لا أعلم هذا بعد . ولكن لدى من الاسباب ما يجعلنى أعتقد ذلك ، فان بعض النقاط لا تتطابق مع نظرية الانتحار على الرغم من أن البوليس قد وصل فيما سبق الى هذه النتيجة الاخيرة .

- ولكنه لم يكتشف أبدا سبب المأساة ... أهذا ما تقصده ؟

أجاب بوارو :- نعم . هذا ما أقصده تماما .

- وهذا السبب . ألم تعرفه بعد ؟

- لست على يقين من ذلك على الاقل . ومع ذلك فانني أعتقد أننا نعرف بعض الامور المكدرة ، وأتساءل هل أنت حكيمة بما فيه الكفاية حتى تقولى :- ان الماضى مات وهذا شاب أحبه وان المستقبل هو الذى سنعيشه معا وليس الماضى .

- هل قال لك انه ابن بالتبنى ؟

- نعم .

- من هذا ترى اذن أن مسز بيرتون كوكس لا شأن لها بهذه المسألة . لماذا ذهبت الى مسز أوليفر وألقت عليها هذه الاسئلة ؟ أنها ليست أم دسموند .

- هل هو متعلق بها حقا ؟

- كلا ، بل أقول أنه يكاد يمقتها ، وأظن أنه لم يحبها أبدا حقا .

- ومع ذلك فقد أنفقت مالها من أجله ، لكى تطعمه وتكسوه وتعلمه ، هل تظنين أنها ، من ناحيتها ، متعلقة به ؟

- لا أظن ذلك . وأعتقد ان كل ما كانت تريده هو أن يكون لها ولد بدلا من ذلك الذى فقدته . ولكن زوجها كان قد مات قبل ذلك بشهور .

- نقطة أخرى أحب أن أجلوها . ألا يعتمد دسموند عليها من الناحية المالية ؟

- سيكون بمقدوره الانفاق على امرأة اذا كان هذا ما تعنيه ، ومن ناحية أخرى فاننى أعتقد أن مبلغا من المال قد كتب باسمه عند تبنيه .

- ولكنه لن يستطيع أن يقربه بلاشك .

- هل تريد أن توحى بأن فى مقدور أمه أن تحرمه من الميراث اذا تزوجنى ؟ لا أظن أنها هددته بذلك أبدا . بل لا أظن أن فى مقدورها أن تفعل نظرا الى أن كل شئ قد تم

تسويته بواسطة رجال القانون الذين اهتموا باجراءات التبنى .

- أحب أن أسألك شيئا آخر قد تكونين الوحيدة التى تعرفه ، ربما فيما عدا مسز بيرتون كوكس نفسها . ألديك فكرة عن شخصية الام الحقيقية لدسموند ؟

- هل تعتقد أن هذا قد يكون السبب الذى حدا بمسز بيرتون كوكس الى نبش الماضى ؟... الحق أننى أظن أن دسموند ابن غير شرعى فان الناس يتبنون الاولاد غير الشرعيين عادة ، أليس كذلك ؟ ومن الجائز طبعا أن تكون مسز بيرتون كوكس قد عرفت شيئا ما عن أب دسموند وأمه . فاذا صح هذا فانها لم تقل له شيئا فيما عدا الحماقات التى ينطقون بها أحيانا فى مثل هذه المناسبات . وهى أنه من الخير له أنها تبنته لانها كانت تريد طفلا فى الواقع ، وهذر آخر من هذا النوع .

- بعض الجمعيات تنصح بأن يعرف الاولاد الحقيقة فهل يعرف دسموند أقاربه ؟

- لا أظن . ولا أعتقد أنه يكترث بذلك كثيرا .

- هل تعرفين اذا كانت مسز بيرتون كوكس صديقة لابويك ؟ هل التقيت بها قبل وأنت طفلة ؟

- لا أتذكر على كل حال . أظن أنها أقامت فى ماليزيا وان زوجها مات هناك . ثم أرسلت دسموند بعد ذلك الى انجلترا حيث أقام على ما أظن عند اولاد عمه ، أو ربما فى مدرسة داخلية . وكان يقيم على مقربة منا . فتعارفنا ونحن صغيران . وما زلت أراه وهو يتسلق الاشجار تحت بصرى وأتذكر أنه كان يعلمنى أشياء كثيرة عن العصافير وأعشاشهم . وبعد ذلك بمدة كبيرة رأيته فى الجامعة ، وتحدثنا عن كل ذلك وسألنى عن لقب الأسرة لانه لم يكن يعرف غير اسمى أنا بالذات واستعدنا الكثير من الذكريات المشتركة ، وهكذا تعارفنا من جديد ، اذا جاز لى ان استخدم هذا التعبير . ولكننى ارى فى الواقع أننى لا أعرف عنه الشئ الكثير وان هناك نقاطا أحب أن أعرفها اذ كيف يمكن مواجهة حياة مشتركة اذا لم يعرف كل من الطرفين كل شئ عن

الاخر واذا كانا لا يعرفان الحقيقة عن أحداث الماضى الهامة .

- ويعبارة أخرى تطلبين منى الاستمرار فى تحرياتى .

- نعم . لا أدرى اذا كنت ستصل الى نتيجة ملموسة لاننى حاولت أنا ودسموند أن نكتشف أمورا معينة وذهبت محاولاتنا عبثا ، فهل تظن أنك تستطيع اكتشافها ؟

- اننى أعتقد دائما أننى أنجح فى كل ما أشرع فيه .

- وهل ستكتشف الحقيقة ؟

اعتدل هركيول بوارو فى جلسته وقال :

- نعم يا آنسة . اننى اكتشفها عادة ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك

***

الفصل الثالث عشر

قالت مسز أوليفر بعد أن شيعت سليا حتى الباب :

- حسنا ما رأيك فيها ؟

- أجاب بوارو :- أن لها شخصية . انها فتاة مهمة بلا نزاع . ليست أى فتاة .

- هذا صحيح .

- أحب أن تحدثينى عنها .

- أنك تعلم أننى لا أعرفها جيدا ، وهذا يحدث عادة مع الاشبينات وبناتهن فى العماد ، فهن لا يلتقين عادة الا فى فترات متباعدة .

- لا أريد أية تفاصيل عنها وانما عن أمها . كنت تعرفينها ، أليس كذلك ؟

- نعم . كنا فى مدرسة داخلية بباريس . كان قوم كثيرون فيما سبق يرسلون بناتهم الى باريس لكى يتعلمن مزيدا من المظاهر البراقة . ماذا تريد أن تعرف عنها ؟

- هل تتذكرين كيف كانت تماما ؟

- أوه ... نعم .

- ما هو شعورك عنها ؟

- كانت جميلة . لا أعنى عندما كانت فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة لانها كانت بدينة نوعا ما عندئذ ولكن فيما بعد .

- هل كانت تتمتع بشخصية قوية ؟

- من العسير على أن أكون ايجابية فى هذه النقطة لانها لم تكن صديقتى الوحيدة طبعا ولا حتى أحسن صديقة لى . كنا جماعة صغيرة من الفتيات الانجليزيات ، لنا نفس الميول تقريبا ، وكنا نلعب التنس ونغتبط اذا ذهبنا الى الاوبرا ، ولكننا كنا نخاف كثيرا من المتاحف وقاعات اللوحات الزيتية . أعرف أن كل هذا مبهم ولكن يتعذر على أن أكون أكثر دقة .

- وهذه الفتاة كانت تدعى موللى برستون جراى ، أليس كذلك ؟... هل كان لها أصدقاء شبان ؟

- أوه ، كان لكل منا حبنا العابر ، وهو حب أفلاطونى بحت . لم نكن نحب المطربين الشعبيين طبعا لانهم لم يكونوا قد ظهروا بعد ولكننا أحببنا الممثلين . وأتذكر أنه كان هناك فى ذلك الوقت ممثل كبير علقت احدى زميلاتنا صورته فوق فراشها . ولكن مس جيروا اعترضت على ذلك وقالت " ليس هذا بالامر اللائق " . وضحكنا كلنا عندئذ لان الممثل كان أبا الفتاة المذكورة ..

- حدثينى بالمزيد عن موللى برستون جراى . هل تشبهها هذه الفتاة التى رأيناها منذ لحظات ؟

- كلا . كلا حقا . كانت موللى أكثر حساسية وسريعة التأثر .

- وهل كانت الاخت التوءمة لموللى فى المدرسة الداخلية هى الاخرى ؟

- دوللى ؟... كلا . كانت فى انجلترا . ولكن لا أدرى أين . كنت قد التقيت بها مرتين او ثلاث مرات ورأيت أنها تشبه موللى شبها كبيرا . أعنى أن أقول أنهما لم

يكونا قد حاولتا بعد أن تختلف كل منها عن الاخرى سواء فى طريقة تصفيف شعرها أو فى زيها كما يحدث عادة مع التوائم عندما تكبر . وأظن أن موللى كانت شديدة التعلق بأختها ولكنها لم تكن تتحدث عنها أبدا . ويدخلنى احساس ، اليوم على الاقل ، لان الفكرة لم تخطر لى قبل بأنه لاريب كان هناك أمر غير طبيعى فى دوللى ، وأتذكر مرة أو مرتين أن حديثا جرى بأنها مريضة وأنهم ارسلوها للعلاج . ومرة أخرى اصطحبتها عمة لها فى رحلة بحرية بسبب الصحة وأتذكر اننى لا أعرف الكثير فيما عدا احساس بأن موللى كانت تحبها كثيرا وأنها كانت تريد حمايتها ... لا أدرى هل تفهمنى أم لا ... أرجو أن لا يبدو لك كلامى سخيفا .

- أبدا .

- وفى مناسبات أخرى كانت موللى تتحدث عن أبيها وأمها ، وكان يبدو أنها تحبها كثيرا . وقد جاءت أمها مرة الى باريس وأخذتها للنزهة معها . وهى امرأة ظريفة، ولعلها لم تكن جميلة جدا ولكنها كانت هادئة رزينة دمثة الاخلاق .

تنهد بوارو وقال :- لا يبدو حقا أن هناك عناصر كثيرة يمكن أن تساعدنا .

- وبعد ذلك عدنا الى انجلترا وافترقنا أنا وموللى لانها انتقلت الى الخارج مع أهلها .. وأعتقد أنها ذهبت الى الهند والى برمودا وجزر الانتيل .

قال بوارو وهو ينظر الى ساعته :- أظن أن مسز بيرتون كوكس لن تتأخر عن القدوم الان .

- اننى اتساءل ماذا يكون من أمرها حين تراك .

قال المخبر السرى وهو يسمع رنين جرس الباب :- لن نلبث أن نعرف ذلك .

ذهبت مسز أوليفر لكى تفتح الباب ، وما هى الا لحظات حتى ظهرت الزائرة بقامتها الضخمة وقالت :

- ما أجمل مسكنك ... وما أكرمك اذا رضيت أن تكرس لى بعض وقتك ، وهو

ثمين جدا كما أعرف .

ورأت عندئذ بطرف عينها هركيول بوارو ، ولم يكن قد تحرك من مكانه . وارتسمت على وجهها الدهشة شيئا ما ثم انتقلت عيناها من شاربه الضخم الى البيانو الموجود بجوار النافذة وأدركت مسز أوليفر مما بدا على ملامح مسز بيرتون كوكس أن هذه الاخيرة حسبت بوارو عاملا قدم لاصلاح البيانو فأسرعت تبدد سوء التفاهم قائلة :

- اسمحى لى أن أقدم لك مستر هركيول بوارو .

تقدم المخبر السرى بضع خطوات وانحنى فوق اليد التى بسطتها له مسز بيرتون كوكس فى حين استطردت الكاتبة :

- انه الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يرد على الاسئلة التى ألقيتها على بخصوص ابنتى فى العماد سليا .

- جميل منك أن تذكرت هذا الحديث ، وأرجو أن تتمكنى من أخبارى بما حدث على وجه التقريب .

قالت مسز أوليفر :- اخشى أننى لم أصل الى نتيجة باهرة ، وهذا هو السبب فى أننى لجأت الى صديقى مستر بوارو فهو رجل مدهش .. أحسن بوليس سرى فى العالم. لا أستطيع أن أذكر لك عدد اصدقائى الذين عاونهم ولا عدد القضايا المستغلقة التى تمكن من جلاء طلاسمها .

كان لا يزال يبدو فى عين مسز بيرتون كوكس لمسة خفيفة من الشك عندما أشارت مسز أوليفر الى مقعد قائلة :

- والان ماذا أستطيع أن أقدم لك ؟ .. لقد فات ميعاد الشاى .. كأس من الشيرى .. او لعلك تؤثرين كأسا من الكوكتيل ؟

- لا بأس بالشيرى . وشكرا لك .

- وانت يا مستر بوارو ؟

- كأس من الشيرى كذلك .

اغتبطت مسز أوليفر لان المخبر السرى لم يطلب منها كأسا من عصير الكرز أو أى مشروب آخر من المشروبات الخالية من الكحول وأسرعت تبحث عن زجاجة وبضعة كئوس .

- اننى أطلعت مستر بوارو على نوع التحقيق الذى تريدين ان يقوم لك به .

- حقا ؟ .. حسن جدا .

والغريب ان مسز بيرتون كوكس بدت على غير طبيعتها وبدأت تقول مخاطبة المخبر السرى :

- من العسير ان نفهم شباب اليوم . ان ابنى شاب أبنى عليه الامال الكبار . وهذه الفتاة ظريفة .. ولكن .. لا يمكن أن ندرى . اعرف ان مثل هذه الصداقات تظهر فجأة احيانا ولكنها لا تدوم . وهذا هو حب الشباب كما كان يحلو لنا أن ندعوه فيما سبق . ومع ذلك فمن المهم ان نجمع بعض العلومات عن .. سوابق الناس . فأنت تعرف اسرات اليوم .. اوه ، اننى اعرف طبعا ان سليا فتاة كريمة المنبت ولكن هناك هذه المأساة .. قيل انها انتحار مزدوج ومع ذلك فلم يستطع أحد الاهتداء الى السبب الذى حدا آل رافنسكروفت الى هذا العمل . لم يكن لنا اصدقاء مشتركون ومن المتعذر على ان ابدى رأيا ، وأعود فأقول ان سليا فتاة ظريفة ، ولكننى مع ذلك اود لو أن اعرف المزيد عن ..

- فهمت من مسز أوليفر انك تريدين معرفة شئ بالذات ، والواقع ..

وتدخلت الكاتبة عندئذ فقالت فى صوت ثابت :- قلت لى انك تريدين ان تعرفى اذا كان ابو سليا هو الذى قتل امها او اذا كان العكس هو الذى حدث .

- يبدو لى فى الواقع ان هناك فرقا كبيرا بين الامرين .

قال بوارو :- ان وجهة النظر هامة جدا .

وعادت مسز بيرتون كوكس تقول :- احب أن أعرف الاسباب التى دفعت الزوجين الى .. لاريب انك توافقنى على أن من الواجب أن نفكر فى الاولاد حين يتعلق الامر بالزواج ... أعنى أنه يجب ان نفكر فى الأولاد المنتظر انجابهم لاننا نعلم ان الوراثة ، فى وقتنا هذا ، اهم بكثير من البيئة التى ينشأ فيها الطفل ، فهى تطبعه ببعض السمات الاخلاقية وتنبت فيه اخطارا خطيرة نود لو أن نجنبه اياها .

قال بوارو :- هذا صحيح . ولكن على القوم الذين يتحملون مسئولية هذه الاخطار اتخاذ القرار الذى يعتقدون أنه الأفضل ، وبمعنى أصح على ابنك وعلى هذه الفتاة أن يتخذوا هذا القرار .

- أعرف ذلك . ففى وقتنا هذا لا يسمح للاهل بالاختيار ولا حتى ابداء الرأى . ومع ذلك فاننى اريد ان اكون على بينة .. اذ رأيت انه لابد ان تقوم باجراء تحقيق ..

ولكن لعلنى اهتم بهذا الولد العزيز أكثر من اللازم .. هكذا الامهات ؟

وأطلقت ضحكة قصيرة ثم أحنت رأسها قليلا وقالت وهى ترفع كأسها الى شفتيها :- لعلك تريد أن تفكر فى الامر . ومن ناحيتى انا فسوف اطلعك على النقاط التى تشغلنى على الخصوص .

ونظرت الى ساعة يدها وهتفت :- اوه ، يا الهى ان لدى موعدا وقد تأخرت . يجب أن اسرع بالانصراف . ارجو أن تعذرينى يا مسز أوليفر ، ولكنك تعرفين كيف تجرى الامور . اننى وجدت مشقة كبيرة بعد ظهر اليوم فى العثور على سيارة اجرة . ان الحياة أصبحت مستحيلة حقا .

ثم تحولت الى بوارو من جديد وقالت :- أظن ان مسز أوليفر لديها عنوانك ؟

أجاب المخبر السرى وهو يعطيها بطاقة اخرجها من جيبه :هاك عنوانى يا سيدتى .

- شكرا يا مستر بوارو . اظن أنك فرنسى .

- اننى بلجيكى يا سيدتى .

- آه . نعم .. بلجيكا .. حسنا . يسرنى اننى تعرفت بك .. واشعر حقا بأمل كبير . اوه ، يا الهى يجب أن انصرف حقا .

وهزت فى قوة يد مسز أوليفر ثم شدت على يد بوارو وغادرت الغرفة فى خطوات كبيرة . وتناهى الى الاسماع صوت قدميها وهى تعبر البهو ثم صوت الباب وهو ينصفق خلفها بشدة .

وقالت مسز أوليفر :- حسنا . ما رأيك ؟

- وانت ؟

- اشعر تماما بأنها هربت . لا ريب انك افزعتها بطريقة او بأخرى .

- نعم . هذا ما حدث حقا .

- كانت تريد أن استجوب سليا وان انتزع منها معلومات أو أسرارا ، ولكنها لا تريد أن تقوم بتحقيق حقيقى . أليس كذلك ؟

- بدون نزاع . وهذا أمر هام فى حد ذاته . قلت لى انها ثرية ؟

- اظن ذلك ، فهى ترتدى ثيابا غاليا وتقيم فى حى فخم ، ولا أظن ان هناك فى حياتها اى شئ مشبوه . استعلمت عنها لدى أناس كثيرين ولعلهم لا يحبونها كثيرا ولكن يبدو أنها تكرس نفسها للجمهور وانها تشترك فى جمعيات كثيرة وتهتم بأعمال خيرية من كل الانواع .

- ما الذى لا يرضيها اذن ؟

- هل تظن حقا أن هناك شيئا لا يرضيها ؟ ألا تقول هذا متأثرا بنفور بغيض ؟

- اننى متأكد أن هناك شيئا لا تريدنا أن نتبينه .

- وهذا الشئ ؟ هل ستحاول أن تكتشفه ؟

- طبعا ، فان هربها بهذه الصورة دليل على أنها كانت تخشى الاسئلة التى يمكن أن نلقيها عليها !.

تنهد بوارو وقال :- أظن أنه يجب علينا أن نذهب الى أبعد من هنا كما ترين .

- أبعد من هنا ؟.. اتعنى فى الماضى ؟

- نعم . فمن المحتمل جدا ان هناك ، فى هذا الماضى ، شيئا يجب أن نعرفه قبل ان نهتم بمأساة اوفر كليف .

- ولكن ماذا يجب أن نفعل فى الوقت الحالى . ماذا فى قائمتك غير هذا ؟

- لعلك تتذكرين ، انه بين المعلومات التى جمعتها وانا اقلب تقارير البوليس انه كانت هناك اربع باروكات .

- نعم . واذكر انك قلت ان هذا كثير .

- صحيح ان هذا العدد بدا لى زائدا عن الحد على الفور .. وكذلك جمعت بعض العناوين وخصوصا عنوان طبيب يمكن ان يكون ذا عون لنا .

- طبيب اسرة رافنسكروفت ؟

- كلا . وانما الطبيب الذى ادلى بأقواله فى حادث الصبى الصغير الذى غرق فى الحوض والذى اغرقته اخته او امرأة اخرى كما قيل ..

- اتعنى الام ؟

- الام او اية امرأة أخرى كانت موجودة في البيت في ذلك الوقت . اننى أعرف المنطقة التى وقع فيها هذا الحادث بانجلترا . وذلك بفضل القوميسير جاروواى وبعض اصدقائى الصحفيين .

- ولكن لاريب ان الطبيب الذى تتكلم عنه قد بلغ من الكبر عتيا .

- ولهذا فلن أذهب لرؤيته هو وانما سأرى ابنه فقد تخصص هو الاخر فى علاج الامراض العقلية . وربما استطاع أن يقدم لى بعض المعلومات الهامة . وينبغى ان نتحرى كذلك عن الناحية المالية ، فالمال نقطة تعود دائما فى القضايا الجنائية . من الذى يفقد مبلغا من المال بسبب حادث معين ، ومن الذى يستفيد منه . هذا ما ينبغى

معرفته دائما .

– ما كانوا ليجهلوا ذلك فى قضية رافنسكروفت بالذات .

– طبعا فقد كتب كل من الزوجين وصية يترك فيها كل أمواله لمن يبقى على قيد الحياة بعد الاخر ، ولكن لم يستفد أى منهما من ذلك نظرا الى انهما ماتا هما الاثنان فى وقت واحد ولم يستفد من موتهما ماليا غير اثنين فقط هما ابنتهما سليا واخوها الاصغر ادوارد وهذا الاخير مازال يتلقى دروسه الجامعية فى الخارج .

– أن تجنى شيئا من كل هذا ، فمن الواضح انه لا شأن للولدين بموت أبيهما .

– هذا واضح فعلا . ولكن يجب ان نذهب الى أبعد من هذا .. ابعد من هذا سواء من الامام أو من الخلف او من كلا النواحى حتى نكتشف اذا لم يكن هناك فى ناحية ما دافع له طابع مالى .

– لا تطلب منى القيام بمثل هذا التحقيق على كل حال ، لاننى لا أفهم شيئا فى المسائل المالية .

– ولهذا لن أطلب منك شيئا من هذا القبيل ، ولكننى أظن ، على العكس انه لا ضير عليك فى أن تقومى بالتحقيق فى مسألة الباروكات .

– الباروكات مرة أخرى .

– ان المحل الذى باعها صالون حلاقة بشارع بوند ، وقد نقل الى مكان آخر ثم اضطر الى أن يتوقف عن نشاطه بعد ذلك ، ولكن لدى هنا عنوان مدام روزالين وتقيم فى شلتنهام . ويمكنك أن تذهبى لزيارتها . وكانت فى الوقت الذى يهمنا تدير هى وزوجها صالونا بشارع بوند الذى حدثتك عنه . وأظن انه اذا قامت امها وأعنى بها أنت يا مسز أوليفر بهذا التحقيق البسيط فسوف يؤدى الى نتائج أفضل .

– وفى هذه الاثناء تذهب لاستجواب هذا الطبيب . هل تعتقد انه سمع عن هذا الحادث من أبيه ؟

- أتعنين الاخت التوءمة لليدى رافنسكروفت ؟

- نعم . وقعت حادثتان ما أعلم من الجائز أن تكون تورطت فيهما . اولهما فى هاتزرزجرين حيث لقى ابنها البالغ من العمر اربع سنوات مصرعه ، والثانى فى الهند بعد ذلك بكثير ويتعلق بموت طفل آخر . من الجائز أن اعلم شيئا .

- هل تقصد ان تقول انه بما ان الاختين توءمتان فربما كانت موللى هى الاخرى مصابة بمرض عقلى ؟ اننى لا أعتقد هذا أبدا ، فقد كانت مولى رقيقة ، عطوفة ، حنونة ، وودودة .. كانت فتاة ظريفة حقا .

- يبدو ذلك فى الواقع ، ولكن هل تقولين انها كانت سعيدة كذلك ؟

- نعم ، بكل تأكيد . اوه ، اننى اعرف تماما أننى لم أرها الا قليلا بعد سنواتنا التى قضيناها فى باريس لانها لم تقطن انجلترا ولكن فى كل مرة جاءتنى منها رسالة، وفى كل مرة التقيت بها فيها احسست بأنها سعيدة جدا .

- واختها ؟ .. اما كنت تعرفينها ؟

- كلا . فى كل مرة رأيت فيها مولى كانت أختها موجودة للعلاج فى احدى المستشفيات . انها لم تحضر حتى زواج مولى .

- وهذا أمر غريب فى حد ذاته .

- مازلت لا أرى ما ستجنيه من كل هذا .

أجاب بوارو فى رقة : - بضع معلومات صغيرة فحسب .

***

الفصل الرابع عشر

هبط هركيول بوارو من سيارة الاجرة ونقد السائق أجره وأضاف اليه حلوانا ثم تحقق من أنه أمام العنوان المنشود وأخرج من جيبه رسالة معنونة باسم الدكتور ويلوجبى . وصعد الدرجات الامامية للفيلا وضغط باصبعه على جرس الباب . وفتح له خادم قال له بعد أن استفسر عن اسمه أن سيده فى انتظاره .

وتقدم المخبر السرى الى غرفة صغيرة مريحة تختفى جدارنها تماما خلف صفوف من الكتب .

وكان هناك مقعدان بجوار الموقد ومنضدة صغيرة فوقها كأسان وقارورة من الكريستال . ونهض الطبيب وكان طويل القامة نحيف الجسم عريض الجبهة أسمر الشعر حاد العينين . وشد على يد زائره وأشار له أن يجلس . وناوله بوارو خطاب التقديم ففضه الطبيب وبعد أن قرأه ألقاه على المنضدة ثم نظر الى زائره فى اهتمام وقال :

- أخبرنى القوميسير جارور بزيارتك وطلب منى أن أبذل جهدى لتيسير التحقيق الذى تقوم به .

أجاب المخبر السرى :- أعرف أن هذه منة أطلبها منك ، ولكن لاسباب خاصة فان

لهذه القضية أهمية كبيرة بالنسبة لى .

- بعد كل هذه السنين ؟

- الواقع انه مضت عليها مدة طويلة ، واننى أعرف تماما أن بعض التفاصيل لابد أن تكون قد أفلتت منك .

- لا أظن ذلك ، فاننى تخصصت منذ وقت طويل فى فرع معين من مهنتى

- وأظن أن أباك كان هو الاخر حجة فى هذا الفرع .

- هذا صحيح . لقد تقدم بنظريات عديدة اتضح صحة بعضها فى حين بدت نظريات أخرى مخيبة للامال . ولكن أظن اننى أفهم انك مهتم بشخص كان تحت علاجه فى وقت من الاوقات ؟

- هو ذلك . اننى مهتم بامرأة تدعى دوروبتا برستون جراى .

- كنت شابا يافعا فى ذلك الوقت ، ولكننى كنت أتتبع من ذلك باهتمام كبير أعمال أبى على الرغم من أن آراءنا كانت تختلف فى بعض الاحيان . ماذا تريد أن تعرف عن هذه الفتاة التى أصبحت فيما بعد مسز جارو ؟

- كان لها أخت توءمة اسمها مرجريت ، أليس كذلك ؟

- نعم . كان أبى فى ذلك الوقت يهتم كل الاهتمام بمشروع يقوم على متابعة ودراسة حياة التوائم على وجه الخصوص فان بعض هؤلاء التوائم شبوا فى بيئة واحدة وبعضهم شبوا فى بيئات مختلفة وكان يريد أن يعرف هل يبقون متشابهين اذا حدثت لهم نفس الأشياء فى نفس الوقت . ولكن أظن انك لم تأت الان لكى تستمع الى هذه النظريات .

- يهمنى بوجه خاص ان اعرف التفاصيل التى احاطت بحادثة معينة وقعت لطفل فى الرابعة من عمره ، ابن مسز جارو بالذات .

- أظن ان هذا قد حدث فى اقليم سورى ، بجوار كامبرلى . كانت مسز جارو أرملة

فى ذلك الوقت لان زوجها كان قد مات منذ قليل فى حادث سيارة . وقد أحزنها ذلك كل الحزن وكان من رأى طبيبها المعالج انها قد تشفى من هذه الصدمة بطريقة مرضية . واستدعى أبى للاستشارة وكان من رأيه أن المريضة تتعرض لاخطار حقيقية وان من الحكمة ان تبقى تحت الملاحظة فى احدى المستشفيات حيث يمكن أن تلقى لفترة من الوقت كل العناية اللازمة . ووضعت فعلا تحت الملاحظة ولكن فيما بعد ، وبعد أن غادرت المستشفى وقعت الحادثة ، فقد كان ولداها الاثنان يلعبان فى الحديقة ، وطبقا لاقوال مسز جارو فان الطفلة . وكانت تبلغ التاسعة من العمر ضربت أخاها الصغير على رأسه وألقت به فى الحوض حيث غرق .

ومثل هذه الاشياء تقع أحيانا ، وغالبا ما تكون بدافع الغيرة ، ولكن فى هذه الحالة بالذات كان الامر يبدو غير ذلك لان الطفلة لم يقع لها ما يغضبها ولم تشعر بأى استياء عند مولد أخيها الصغير ولا بعد ذلك . ولكن من ناحية أخرى كانت مسز جارو لا ترغب فى ذلك الولد . بل انها كانت قد استشارت طبيبين لكى يقوما بإجهاضها ، ولكن ايا من الطبيبين لم يقبل القيام بمثل هذه العملية ، وكانت فى ذلك الوقت غير قانونية .

ولكى نعود الى الحادثة . كان احد موظفى التلغراف يدخل البيت فى هذه اللحظة وأدلى بأقواله فقال ان الولد لم تضربه طفلة أو تلقى به فى الحوض وانما التى ضربته وألقت به فى الحوض امرأة ، ومن ناحية أخرى ، كانت هناك خادمة تنظر من النافذة فرأت سيدتها تدفع الطفل وتلقى به فى الحوض . وقالت فى هذه المناسبة " لا أظن ان المرأة المسكينة كانت تعى ما تفعل لانها لم تبرأ أبدا من الصدمة التى ألمت بها بموت زوجها . ومهما يكن فقد انتهى التحقيق الى أن موت الطفل كان نتيجة لحادث عرضى . ومع ذلك فان أبى قابل مسز جارو مقابلة طويلة خضعت أثناءها لكثير من التجارب وانتهى الى نتيحة وهى انها مسئولة كل المسئولية عن الحادثة وانه من الاوفق ادخالها

المستشفى ، وكانت هناك فى ذلك الوقت طريقة شائعة جدا للعلاج وكان أبى يؤمن بها فقد كان المعتقد عندئذ أن المرضى بعد أن يخضعوا للعلاج المناسب ، وهو علاج قد يستمر سنة أو أكثر فى بعض الاحيان ، كان المعتقد أن فى امكان المرضى العودة الى حياتهم السابقة العادية فى اطارها العادى . وكان يصرح لهم عندئذ بالعودة الى ديارهم وبفضل رعاية عائلية وطبية فى نفس الوقت كان يمكن تدبير كل شئ . ويجب أن أعترف انه فى حالات كثيرة كانت هذه الطريقة فى العلاج تفلح تماما . ولكن كانت هناك تجارب انتهت الى أسوأ نهاية كذلك . فان المرضى الذين كان يبدو انهم برئوا تماما كانوا يعودون الى بيوتهم ويستأنفون حياتهم العادية فى اطارها العائلى ثم ينتكسون فجأة .

واليك مثلا لذلك ، فقد خرجت امرأة من المستشفى لكى تقيم مع صديقة كانت تعيش معها من قبل . وبدا ان كل شئ كان يسير على ما يرام ثم ذات مساء ، بعد خمسة أو ستة شهور دعت طبيبها على عجل وعندما أقبل قالت له : " ستغضب حتما حين ترى ما فعلت ، ولا ريب انه يجب أن تستدعى البوليس . ولكننى لم أستطع أن أفعل غير ذلك فاننى رأيت الشيطان يخرج من عينى هيلدا وأدركت عندئذ اننى يجب أن أقتلها " . وكانت المرأة المسكينة قد قتلت خنقا وهى جالسة فى مقعدها أما المذنبة فقد ماتت بعد ذلك بسنوات فى ملجأ نفسانى وهى ماتزال مقتنعة بأن الجريمة التى ارتكبتها كان لابد منها حيث انه كان من واجبها أن تقتل الشيطان .

هز بوارو رأسه فى حزن فى حين استطرد الطبيب يقول :- نعم . اننى أرى أن دوروتيا برستون جراى كانت تعانى هى الاخرى ، وان كان بصورة أخف بكثير من نوع من الجنون الخطر وكان يجب ان تبقى تحت رعاية مستمرة . وكان هذا رأى أبى كذلك . وقد عولجت من جديد فى مستشفى آخر ، وبعد سنة أو سنتين بدا انها شفيت وغادرت المستشفى عندئذ ومضت لكى تعيش حياة عادية برفقة ممرضة كانت مكلفة بمراقبتها

تقريبا ولكن أهل البيت كانوا يحسبون انها وصيفة لها . ثم قررت مسز جارو ذات يوم أن تنتقل الى الخارج .

قال بوارو :- الى الهند بالذات .

- هو ذلك . ذهبت الى اختها التوءمة ، الليدى رافنسكروفت .

- وهناك وقع الحادث الثانى ؟

- نعم . هوجم ابن احدى الجارات ، وتبين وقتها ان التى هاجمته خادمة هندية ، ولكن فى هذا الحادث أيضا لم يكن هناك شك فى أن المذنبة هى مسز جارو نفسها وان الذى دفعها الى ذلك سبب غامض لا يعرفه أحد غيرها . لم يستطيعوا اثبات شئ بطريقة أكيدة ولكن الجنرال رافنسكروفت كان من رأيه انه يجب ارسال أخت زوجته الى انجلترا لاخضاعها لعلاج طبى جديد . أهذا ما كنت تريد معرفته يا مستر بوارو ؟

- نعم كنت أعرف جزءا من هذه القصة ولكن بالسماع فقط ، وأود الان أن أحدثك عن الاخت التوءمة لمسز جارو مرجريت ستون جراى التى أصبحت فيما بعد الليدى رافنسكروفت بحكم زواجها . أيجوز انها كانت هى الاخرى مصابة بنفس المرض العقلى؟

- لقد ألقى أبى السؤال على نفسه . وقد قابلها مرتين أو ثلاث مرات وتحدث معها طويلا لانه كان قد لاحظ فى أغلب الاحيان اضطرابات تكاد تكون مشابهة عند التوائم الذين كان كل منهم يتعلق بالآخر فى بداية حياتهم . ولكنه تأكد أن الليدى رافنسكروفت كانت سليمة العقل تماما .

- قلت كانوا يتعلقون أحدهم بالاخر فى بداية حياتهم ، أليس كذلك ؟

- نعم . لانه فى بعض المناسبات يمكن أن تنشأ فيما بعد عدواة بين التوءمين ويمكن للحب الفطرى أن ينقلب الى كراهية شديدة . واننى اتكلم بصراحة وأتساءل اذا لم يكن هذا هو ما حدث فى المسألة التى تهمنا فان سير اليستير رافنسكروفت ، وكان لا يزال

ضابطا صغيرا ، وأظن انه كان ملازما فى ذلك الوقت أحب دوروتيا برستون جراى أولا . وكانت فتاة جميلة جدا عندئذ ، بل انه قيل لى انها كانت أجمل الاختين . واستجابت الفتاة لحبه . ولم تعلن خطبتهما رسميا أبدا لان الملازم لم يلبث أن تخلى عنها وحول اهتمامه الى اختها مرجريت وطلب من هذه الاخيرة أن تتزوجه ، وتم زواجهما فعلا . وقد أدرك أبى أن دوروتيا استولت عليها غيرة شديدة من اختها مع بقائها على حبها لزوج أختها .

ومع ذلك فقد انتهى بها الامر الى انها تزوجت هى الاخرى برجل آخر ... وكان زواجا سعيدا فى الظاهر الى ان مات زوجها فى حادث ، وقامت بزيارة آل رافنسكروفت مرارا عديدة ، ليس فقط فى ماليزيا ولكن فى انجلترا كذلك بعد عودتها . وكان يبدو عندئذ انها شفيت تماما . وأظن ، كما قال لى أبى على الاقل ، ان الليدى رافنسكروفت كانت شديدة التعلق بها . كانت تحميها وتساندها دائما فى كل المناسبات وتحبها بحنو ورقة . وأظن انها كانت تتمنى أن تراها كثيرا . ولكن سير اليستير لم يكن يميل اليها كثيرا ومن الجائز أن مسز جارو المختلة العقل شيئا ما ظلت بعد ترملها تعانى من مشاعر قبل زوج اختها لم يكن هذا الاخير الا ليجدها محرجة . ومع ذلك فيبدو أن زوجته حسبت فى آخر الامر ان اختها تخلصت من الغيرة التى كانت تشعر بها من نحوها .

– أظن اننى فهمت ان مسز جارو كانت تقيم مع آل رافنسكروفت قبل المأساة بقليل..

– هذا صحيح . وقد ماتت هى نفسها ميتة مفجعة قبل موت أختها والجنرال رافنسكروفت بنحو ثلاثة أسابيع . كانت مصابة بداء المشى وهى نائمة . وخرجت ذات ليلة من الفيللا وسارت نحو الشاطئ الصخرى واختل توازنها وسقطت من عليه . ولم يعثروا عليها الا فى صباح اليوم التالى . وقد اضطربت أختها موللى لهذه النهاية

المؤلمة ، ومع ذلك فاننى أظن انه لا يمكن اعتبار هذا الحادث مسئولا عن انتحار الجنرال وروجته بعد ذلك . فان الحزن الذى تشعر به امرأة لموت اختها يمكن أن يؤدى فى بعض الحالات العنيفة الى عمل يائس ولكنه لا يتسبب أبدا فى انتحار مزدوج .

قال بوراو :- ذلك الا اذا كانت لليدى رافنسكروفت يد فى موت أختها .

صاح الدكتور ويلوجبى :- يا الهى ... لا اخالك تعتقد ..

- ان مرجريت رافنسكروفت تبعت أختها فى تلك الليلة وألقت بها من فوق الشاطئ الصخرى ؟

- انني ارفض مواجهة مثل هذا الافتراض كلية .

قال بوارو فى رقة :- لا يمكن أن ندرى ما يقدم عليه البعض أبدا .

***

الفصل الخامس عشر

بعد أن تسكعت مسز أوليفر قليلا فى شلتنهام وتفرجت على معروضات محلين من محلات الانتيكات دخلت صالونا للتجميل ووقفت تردد البصر حولها . وكانت هناك امرأة بدينة تقوم بتصفيف شعر احدى العميلات فتركتها وأسرعت الى مسز أوليفر مستفهمة فقالت هذه الاخيرة .

- أريد أن أرى مسز روزلين . اننى تواعدت معها فى التليفون وأريد أن أراها لامر هام .

أجابتها المرأة قائلة :- الواقع اننى أعرف أن المدام تنتظر شخصا . هل لك أن تتبعينى .

ألقت صاحبة محل التجميل ، وهى امرأة متقدمة فى السن ، الفنجان الذى فى يدها ونهضت لتحيى زائرتها قائلة :

- مسز أوليفر ؟ .. كنت انتظرك . هل لك فى فنجان من القهوة ؟

شكرتها الكاتبة فى لهجة مهذبة وطرقت الموضوع الذى أتت من أجله على الفور قائلة : - أود أن أسألك عن شئ ربما تتذكرينه ، لانه مضت عليك مدة طويلة فى هذه المهنة ، أليس كذلك ؟

- نعم . ويمكننى الان أن أعتمد على موظفاتى .

ابتسمت مسز روزلين . كان لها وجه جميل ذكى وشعر اسمر يخوطه المشيب . وقالت :- ما الخبر ؟

- أريد أن أسألك عن بعض الباروكات .

- اننا لم نعد نهتم بهذا النوع الان .

- كنت تملكين فيما سبق محلا للتجميل فى لندن أليس كذلك ؟

- نعم . فى شارع بوند أولا ثم فى شارع سلون . ولكننى سعيدة أنا وزوجى لاستقرارنا هنا فى الريف . ولكن ألست أنت مسز رايان أوليفر ؟

- ارتبكت الكاتبة وتمتمت :- نعم .

- اننى أحب رواياتك كثيرا . قرأت منها الكثير . ماذا أستطيع أن أسدى لك ؟ لعلك تريدين بعض المعلومات عن باروكات الأيام الماضية وموضة الأمس ؟

- ليس تماما . احدى صديقاتى ، وقد ماتت ميتة مفجعة منذ بضع سنوات كانت قد اشترت باروكاتها من عندك .

- انك تكلمت عن ميتة مفجعة ، فما اسم صديقتك ؟

- الليدى رافنسكروفت .

- أوه ، نعم . اننى أتذكرها تماما . كانت امرأة جميلة جدا ، وكان زوجها ضابطا قديما ، أليس كذلك ؟

- نعم . والمفروض انهما ماتا معا .

- اننى أتذكر اننى قرأت ذلك فى الجرائد وسمعت الناس يتحدثون عنه .. نهاية محزنة حقا ، ولكن ماذا تحسبين أن فى استطاعتى أن أخبرك به . اننى الم أعرف أبدا تفاصيل المأساة .

- كانت الليدى رافنسكروفت كما قلت لك منذ لحظة عميلتك ، وأثناء التحقيق

الذى اجرى عقب موتها لوحظ انه كان لديها أربع باروكات . وهذا يدل على الافراط شيئا ما .

- آه ، نعم . انك على حق لان معظم النساء اللاتى يلبسن باروكات يقنعن باثنتين ليتمكن من استبدال واحدة بالاخرى عند تنظيفها .

- هل تتذكرين الظروف التى طلبت فيها الليدى رافنسكروفت الباروكتين الاخيرتين..

- لم تأت هى نفسها ، وانما جاءت فتاة أخرى تتكلم الانجليزية بطلاقة ولا ريب أنها كانت وصيفة أو شيئا من هذا القبيل ، وأخبرتنى بما تريده الليدى رافنسكروفت : لون الشعر والشكل وخلاقه . وطلبت منا باروكتين .

- من نوعين مختلفين ؟

- نعم . واحدة للخروج بالليل على ما أعتقد والاخرى بخصلات صغيرة يمكن لبسها تحت قبعة . على انتى لم أر الليدى رافنسكروفت بعد ذلك أبدا . ولكننى أعرف أنها حزنت كثيرا لموت أختها التوءمة ، ومع ذلك فقد كانت تبدو سعيدة جدا قبل ذلك

- مما يؤسف له اننا لا نعرف أبدا ما ينتظرنا فى الطريق .

- ولهذا السبب أظن أن هناك أشخاصا كثيرين دائمى القلق والانشغال .

***

الفصل السادس عشر

جلس مستر جوبى أمام هركيول بوارو وأخرج بضع وريقات من حافظة أوراقه فسأله المخبر السرى :

- هل عثرت على شئ هام ؟

- جمعت عددا من التفاصيل .

كان مستر جوبى مشهورا فى لندن كلها وكان الناس يتساءلون بأية معجزة كان يتمكن من جمع معلوماته وخفض عينيه الى أوراقه وقال :

- مسز بيرتون كوكس .. تزوجت أولا بمستر الدبورى وكان يملك مصنعا لانتاج الزراير بالجملة وقد قتل فى حادث سيارة بعد زواجه بأربع سنوات . وقد أنجبت منه ولدا مات بعد قليل من ذلك قضاء وقدرا . وآلت ثروة مستر الدبورى الى زوجته ولكنها لم تكن بالاهمية التى كانت تتوقعها لان الشركة كانت تخسر منذ بضع سنوات ولان مستر الدبورى أوصى بمبلغ جسيم لامرأة تدعى كاتلين فين كانت تربطه بها علاقة وثيقة لم تكن زوجته على علم بها . وبعد ثلاث سنوات تبنت مسز البدورى ابن كاتلين فين ، وقد أقسمت هذه الاخيرة على أنه ابنها من الفقيد مستر الدبورى . وهذه نقطة لا يمكن اثباتها لان مس فين كانت على علاقات كثيرة برجال كرماء وأغنياء . ومهما يكن من

أمر فقد تبنت مسز الدبورى الطفل وتزوجت بعد ذلك بالقومندان بيرتون كوكس .

" واشتغلت مس فير بعد ذلك بالمسرح وأصبحت مطربة مشهورة وجمعت ثروة طائلة ، وكتبت عندئذ لمسز بيرتون كوكس تطالبها باسترداد الطفل ولكن مسز بيرتون رفضت ذلك وهى تعيش الان فى بحبوحة مما خلفه لها زوجها الثانى الذى لقى مصرعه فى ماليزيا .

وثمة نقطة أخيرا وهى أن مس كاتلين فين ماتت منذ نحو ثمانية عشر شهرا تاركة وصية توصى بموجبها بأن تئول كل ثروتها ، وهى ثروة ضخمة ، الى الابن غير الشرعى دسموند المعروف الان باسم دسموند بيرتون كوكس .

قال بوارو :- هذا كرم كبير منها . وكيف ماتت ؟

- طبقا للمعلومات التى جمعتها أصيبت بسرطان الدم .

- وهل تسلم الشاب ثروة أمه ؟

- تنص الوصية على أن يستثمرها القيم حتى يبلغ دسموند الخامسة والعشرين من عمره .

- ويمكنه عندئذ أن يعتمد على نفسه . هل حرر وصية بدوره ؟

أجاب مستر جوبى :- لا أعرف . ولكن فى مقدورى أن أستعلم عن ذلك . وسأتصل بك تليفونيا بمجرد أن أعرف .

وانصرف مستر جوبى . وبعد نصف ساعة تقريبا صلصل جرس التليفون . وكان هركيول بوارو يكتب بعض الملاحظات فى ورقة أمامه ، وكان يقطب جبينه ما بين لحظة وأخرى ، فمد يده وتناول السماعة وأصغى هنيهة ثم قال :

- شكرا لك . هذا عمل سريع . وأشكرك جدا . اننى اتساءل كيف يمكنك الاهتداء الى كل هذا .. نعم ، هذا يفسر لنا الموقف تماما . فقد أصبح هناك معنى لشئ لم يكن له أى معنى .. نعم ، نعم اننى مصغ اليك .. هل أنت واثق مما تقول ؟ .. يعرف انه ابن

بالتبنى ولكن لم يذكر له أحد من هى أمه الحقيقية ؟ .. نعم ، اننى أفهم حسن جدا انك أوضحت لى الان نقطة أخرى شكرا لك .

أعاد بوارو السماعة مكانها واستأنف كتابته . وبعد بضع دقائق دق جرس التليفون ثانية وقال صوت لم يجد المخبر أقل عناء فى معرفة صاحبته :

– اننى عدت الان من شلتنهام .

– هل رأيت مدام روزلين ؟

– نعم . انها امرأة ظريفة . وقد كنت أنت على حق فهى فيل آخر .

– أى ؟

– انها تذكرت موللى رافنسكروفت تماما .

– وهل تذكرت باروكاتها ؟

– نعم .

وأطلعته فى ايجاز على ما ذكرته لها صاحبة محل التجميل . وقال بوارو :

– هذا يتفق مع ما لدى من معلومات ، وما ذكره لى جارووای بالضبط .. باروكة بخصلات قصيرة وأخرى للخروج ليلا واثنتان عاديتان .

– كنت تعرف كل هذا اذن ؟

– اوه ، نعم . ولكن هل قالت لك مدام روزلين أن الليدى رافنسكروفت أرادت باروكتين أخريين غير الباروكتين اللتين كانتا لديها ؟.. وهذا قبل وقوع المأساة بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع . هذا أمر هام ، ألا ترين ذلك ؟

– بل هذا أمر طبيعى جدا فانه يحدث عادة أن تتلف الباروكة واذا لم تستطع صاحبتها أصلاحها فلابد لها من غيرها . ولا أرى فى كل هذا ما يدعو الى القلق والاستغراب .

– لست قلقا بالمعنى الصحيح . ولكن أهم ما هناك هو ما نطقت أنت به منذ لحظة

. قلت ان فتاة فرنسية هى التى طلبت الباروكتين .

– نعم ، أظنها وصيفة . كانت الليدى رافنسكروفت متوعكة وتعذر عليها الذهاب بنفسها لتطلبها فأرسلت وصيفتها .

– فهمت . هل تعرفين اسم هذه الفتاة الفرنسية ؟

– كلا . لم تذكره مدام روزلين لى وأظن أنها لا تعرف اسمها هى الاخرى ، فقد اتصلت الليدى رافنسكروفت بمدام روزلين تليفونيا لكى تخبرها بقدوم الفتاة اليها .

قال بوارو :– حسنا . هذا يوضح لى بجلاء ما يجب أن أفعل الان .

سألته مسز أوليفر فى دهشة :– هل عرفت شيئا ؟

– ان لك طبيعة متشككة يا صديقتى العزيزة . تتصورين دائما اننى لا أفعل شيئا فيما عدا الجلوس فى مقعدى .

– اننى مقتنعة بأنك فى مقعدك لكى تفكر ، ولكن لا يسعنى الا ان أقول انك لا تخرج كثيرا .. لكى تعمل .

أجاب المخبر السرى فى هدوء :– ومع ذلك فسأخرج فى مستقبل قريب جدا وأعمل بل من الجائز أن أعبر المانش .

– أوه ، هل تريد أن أرافقك ؟

– كلا . شكرا لك . أظن أن من الافضل أن أسافر هذه المرة بمفردى .

– هل تتكلم بجد ؟.. هل ستسافر حقا .

– طبعا . وستكونين سعيدة يا عزيزتى لاننى سأزخر نشاطا .

وأعاد السماعة وأدار رقما آخر وقال يخاطب القوميسير جارووای :– أنا هركيول بوارو . أرجو أن لا أزعجك كثيرا . هل هناك ما يشغلك فى هذه اللحظة ؟

– أبدا . اننى أسقى ورودى وهذا كل شئ .

– هناك شئ أود أن أسألك اياه . شئ صغير جدا .

- بخصوص مسألة الانتحار ؟

- هو ذلك . اعرف أنه كان هناك كلب فى البيت ، وأنت نفسك قلت لى أنه كان يرافق عادة سير اليستير والليدى رافنسكروفت فى نزهتهما .

- هذا صحيح . ويبدو أننى أتذكر أن الخادمة قالت أثناء التحقيق أن سير اليستير والليدى رافنسكروفت أخذا الكلب معهما كعادتهما .

- وأثناء فحص الجثتين هل اكتشف الطبيب آثار عض .. ليس من الضرورى ان تكون آثارا حديثة .

- من الغريب أن تسألنى هذا ، وأعترف أننى ما كنت لاتذكر هذا الامر لو لم تسألنى عنه ، ولكن كانت هناك فعلا على ساقى الليدى رافنسكروفت ندبات خفيفة ناتجة عن عضوض وأتذكر شيئا الان . فان الخادمة كانت قد قالت أن الكلب هجم على سيدتها مرتين أو ثلاث مرات وعضها ، ولكنها كانت عضوضا خفيفة غير خطرة ، واحداها كانت حديثة نسبيا ، منذ أسبوع أو أسبوعين طبقا لاقوال الخادمة .

قال بوارو فى تفكير :- أود لو أن أعرف هذا الكلب فهو ذكى .

ثم شكر القوميسير وأعاد السماعة مكانها وتمتم :

- بل هو أذكى من رجال البوليس .

***

الفصل السابع عشر

أغلق هركيول بوارو الباب خلف مس لينفجستون بعد أن أدخلته غرفة استقبال مسز أوليفر ثم مضى فجلس أمام صديقته الكاتبة وقال وهو يخافت من صوته :

– انني مسافر .. سأستقل الطائرة الى جنيف .

– هل تنوى أن تعثر فيها على فيل ؟

– بل لعلنى أعثر على فيلين .

– أما أنا فلم أعثر على شئ آخر ، والواقع أننى لا أعلم ماذا أفعل لكى أعرف المزيد .

– ان ابنتك فى العماد أخا أصغر منها ، ليس كذلك ؟ اين هو الان ؟

– أظن أنه يكمل دروسه الجامعية فى كندا . هل تريد أن تذهب لاستجوابه هو الاخر ؟

– كلا . انما أريد أن أعرف مكانه ولكننى أظن أنه لم يكن فى الفيللا عندما وقع الانتحار .

– لا أخالك على كل حال تظن انه هو الجانى .. وانه هو الذى قتل أباه وأمه ؟.. أعلم تماما أن هذه أشياء تقع ولكن ... لا تنس أنه كان فى الرابعة من عمره عندما وقعت المأساة .

- انه لم يكن فى البيت على كل حال ، وقد عرفه ذلك من تقارير البوليس

- هل اكتشفت شيئا آخر هاما ؟.. أراك منفعلا .

- اننى كذلك فعلا ، فقد اكتشفت أشياء جديدة يمكن أن تلقى الضوء على كل ما نعرفه .

- تكلم اذن .

- يخامرنى احساس بأننى أعرف الان لماذا سألتك مسز بيرتون كوكس ذلك السؤال ولماذا تريد أن تجمعى لها معلومات عن انتحار آل رافنسكروفت .

- اذن فأنت تعتقد أن الامر لم يكن مجرد فضول ؟

- بل اننى واثق أن هناك دافعا ، وهنا يدخل المال .

- المال ؟.. وما دخل المال فى هذه المسألة ؟ ان مسز بيرتون كوكس غنية بما فيه الكفاية ، أليس كذلك ؟

- بل لديها ما يمكنها من أن تعيش في بحبوحة ، وهذا أمر مؤكد . ولكن يبدو ان ابنها حرر وصية عندما بلغ سن الرشد لصالح أمه بالتبنى . والواقع أنه كتبها تحت الحاحها ولم يكن أمامه فى ذلك الوقت من يوصى له بأمواله غيرها .

- لا أرى كيف يدفع ذلك مسز بيرتون كوكس الى محاولة معرفة التفاصيل التى أحاطت بموت آل فرانسكروفت .

- انما أرادت أن تمنع الزواج فحسب ، فان الشاب اذا كانت له خطيبة ، واذا كان ينوى أن يتزوج فى مستقبل قريب فان أمه بالتبنى لن ترث عندئذ المال الذى يئول اليها اذا مات لان الزواج يبطل مفعول أية وصية سابقة له . وكان المتوقع أن يكتب دسموند وصية جديدة لصالح زوجته .

- ومن رأيك أن مسز بيرتون كوكس لم تكن تريد هذا .

- كانت تتمنى أن تكتشف شيئا يثنى دسموند عن أن يتزوج بهذه الفتاة . أظن

أنها كانت ترجو .. وتعتقد أن أم سليا قتلت زوجها قبل أن تنتحر ، فمثل هذا الامر من شأنه أن يحمل الشاب على التفكير وحتى اذا كان سير اليستير هو الذى قتل زوجته فان هذا الامر قد يحث الفتى على أن يتخلى عن مشروع زواجه .

- هل تعنى أنه فى مثل هذه الحالة يمكن أن يكون للفتاة نفسها ميلا لارتكاب جريمة قتل ؟ ولكن هذا أمر غير معقول فان دسموند ليس غنيا ، وبما أنه ابن بالتبنى فماذا يمكن أن يوصى فى وصيته ؟

- ان أمه الحقيقية التى لم يكشف له أحد حقيقة أمرها أبدا كانت مطربة جمعت ثروة طائلة وقد أوصت له بكل ما تملكه . وقد ارادت فى وقت من الاوقات ان تسترد ابنها ولكن مسز بيرتون كوكس رفضت ، ولاريب أنها كانت تعتقد منذ تلك اللحظة أن كاتلين فين ، وهو اسم أم دسموند ، ستترك كل ثروتها لابنها . ومع ذلك فان هذا الاخير لن يتسلم ميراثه الا فى اليوم الذى يتم فيه عامه الخامس والعشرين . هل تفهمين الان لماذا لا تريده مسز بيرتون كوكس أن يتزوج .

- وأظن أن هذا هو السبب أيضا فى أنها لا تريد أن تتعمق فى التحقيق فى حادث انتحار آل فرانسكروفت .

- على الارجح .

- هل هذا كل ما اكتشفت ؟

- كلا . هناك شئ آخر . علمت من القوميسير جاروواى أن خادمة آل فرانسكروفت كانت ضعيفة البصر جدا .

- وهل لهذا أهمية .

أجاب بوارو وهو يلقى نظرة على ساعته :- هذا جائز . حسنا . أظن أنه يجب أن أنصرف الان .

- لكى تذهب الى المطار ؟

- كلا . ان طائرتى لن تنطلق قبل صباح الغد ، ولكن هناك مكانا أريد أن أراه رأى العين ، ولدى عربة تنتظرنى أمام الباب لكى تذهب بى الى حيث أريد .

- وما الذى تريد أن تراه ؟

- لعل كلمة " أرى" ليست الكلمة المناسبة تماما . فاننى أريد بالحرى أن أتلمس الجو نعم . نعم .. هذه هى الكلمة اللازمة .. انها مسألة جو .

***

الفصل الثامن عشر

اجتاز هركيول بوارو الباب الحديدى للمقبرة الصغيرة وانطلق فى أحد الممرات ولم يلبث أن وقف أمام جدار تغطيه الطحالب . وخفض عينيه الى القبر الذى عند قدميه ثم رفعهما فى بطء لكى يتأمل الكثبان الرملية والبحر الذى يمتد على مدى البصر .

وعاد القبر فلفت نظره من جديد . كان بعضهم قد وضع فوقه باقة من الزهور منذ قليل . باقة صغيرة من الزهور البرية .. نوع الباقة التى يمكن أن يجمعها طفل ، ولكنه لم يعتقد أن هذه الباقة قد جاء بها طفل .

وراح يقرأ الكلمات المنقوشة على الرخام .

دورتيا برستون جراى زوجة جارو

ماتت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٨

وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها

و

مرجريت برستون جراى زوجة رافنسكروفت

ماتت فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٨

وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها

و

اليستير رافنسكروفت ، زوجها

مات فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٨

وهو فى السادسة والخمسين من عمره

جمعهم الموت وليتغمدهم الله برحمته

تأمل بوارو الضريح لحظة أخرى ثم هز رأسه فى بطء وهبط الممر .

وعندما غادر المقبرة انطلق فى الطريق المؤدى الى الشاطئ الصخرى ، ولم يلبث أن وقف وقد حول عينيه نحو البحر وحدث نفسه فقال فى صوت خافت :

- اننى واثق أننى أعرف الان ما حدث .. والسبب فى أنه حدث .

***

الفصل التاسع عشر

قال بوارو وهو ينحني :- الانسة روسل .

بسطت الانسة روسل يدها اليه ، ورأى بوارو أنها تناهز الخمسين من العمر . وكان يبدو أنها ربة بيت وذكية دمثة الاخلاق راضية بحياتها التى انقضت بما فيها من سراء وضراء .

وقالت :- سمعت عنك ، فان لى أصدقاء فى سويسرا وفرنسا ، ولكننى مع ذلك ، لا أدرى كيف يتسنى لى مساعدتك على الرغم من أنك أوضحت لى كل شئ فى خطابك ، ان هذه المسألة بعيدة جدا .. ولكن تفضل بالجلوس .

- انك كنت فى وقت من الاوقات مربية عند آل رافنسكروفت ومما لاشك فيه أنك تتذكرينهم .

- ان الانسان لا ينسى احداث شبابه . نعم ، اننى اتذكر الطفلين . كان اسم البنت مأخوذا من إحدى مسرحيات شكسبير .. أكان روزالند أو سليا ؟

- سليا .

- هو ذلك . سليا . وأتذكر أبوها كذلك .

- وكانت هناك أخت الليدى رافنسكروفت أيضا .

- نعم . ولكنها لم تكن هناك عندما وصلت . كانت عليلة دائما وتحت العلاج فى

مكان ما .

- هل تتذكرين اسم الاختين ؟

- نعم . مرجريت ودوريتيا . ولكن الجميع كانوا يدعونهما موللى ودوللى . كانتا توءمتين حقيقيتين وكانتا متشابهتين بشكل عجيب . كانتا جميلتين جدا .

- وأظن أن كلا منهما كانت تحب الاخرى كثيرا ؟

- طبعا . وكان يبدو وبصفة خاصة أن الليدى رافنسكروفت كانت شديدة التعلق باختها . وعندما التحقت أنا بخدمتها كانت سليا فى السادسة أو السابعة من عمرها وكان الصبى الصغير فى الثالثة . كنت سعيدة جدا معهم .

- وأظن أنهم كانوا سعداء هم الاخرون . سمعت أن الطفلين كانا يحبان اللعب معك كثيرا .

- اننى أحببت الاطفال دائما .

- كانا يدعوانك مادى ، أليس كذلك ؟

راحت الانسة روسل تضحك ثم قالت :- آه .. لو تعرف كم أحب سماع هذا الاسم انه يعيد الى ذهنى ذكريات كثيرة .

- هل عرفت كذلك صبيا صغيرا باسم دسموند بيرتون كوكس ؟

- طبعا . كان يقيم على مقربة . وكان يأتى كثيرا ويلعب مع سليا وادوارد .

- هل بقيت مدة طويلة مع الليدى رافنسكروفت ؟

- بقيت معهم سنتين أو ثلاث سنوات تقريبا فقد اضطررت الى العودة الى البلد لان أمى كانت مريضة جدا ، وماتت بعد عودتى بنحو سنة . وبعد ذلك افتتحت مدرسة صغيرة داخلية للفتيات اللاتى يرغبن فى اتقان اللغات الاجنبية . ولم أعد الى انجلترا ولكن كانت تأتينى بطاقات من سليا وادوارد فى أعياد الميلاد بانتظام .

- هل تعتقدين أن سير اليستير والليدى رافنسكروفت كانا زوجين سعيدين ؟

– كانا سعيدين جدا ، وكانا يعبدان ولديهما .

– هل كانا متكافئين ؟

– كان يبدو أنهما يتمتعان بكل الصفات الضرورية لكى يكون زواجهما ناجحا .

– قلت لى منذ لحظة ان الليدى افنسكروفت كانت شديدة القلق بخصوص أختها بصفة خاصة فهل كان العكس صحيحا ؟

– يا الهى .. لم أجد الفرصة ابدا لكى أتأكد من ذلك . ولكن اذا أردت فانني طالما أحسست أن دوللى كانت بحاجة الى قليل من الاتزان فأننى رأيتها تتصرف بطريقة غريبة مرتين أو ثلاث مرات . كانت غيورة بطبعها ، وقد فهمت انها كانت مخطوبة لسير اليستير قبل أن يتزوج باختها . وكانت هذه الاخيرة تتمتع بكامل قواها العقلية ، كما كانت رقيقة جدا وكريمة جدا . اما دوللى فاننا كنا نحسب احيانا انها تعبد أختها ثم لا تلبث ان نرى أنها تكاد تمقتها فى مناسبات اخرى . وكانت ترى كذلك اننا نهتم بالطفلين اهتماما كبيرا يفوق الحد ، ولكن هناك شخصا يمكنه ان يحدثك عن آل رافنسكروفت أفضل منى واعنى به الانسة مورا التى حلت مكانى بعد أن اضطررت الى مغادرتهم وقد بقيت هى فى خدمتهم مدة كبيرة ، بل انها عادت فيما بعد ، بعد أن التحقت سليا بالمدرسة الداخلية بسويسرا لكى تكون وصيفة لليدى رافنسكروفت .

– لدى عنوانها فى لوزان ، وكنت مصمما قبل ذلك على زيارتها .

– انها امرأة ظريفة ويمكن الوثوق بها كل الثقة . واذا كان هناك شخص يمكنه أن يقدم لك تفاصيل كاملة عن مأساة اوفركليف وعن أسبابها فانها هى ذلك الشخص ولكنها كتومة جدا ، ولم تتحدث معى ابدا فى هذا الصدد فهل تطلعك انت على شئ ؟ هذا ممكن .

***

واذا كان بوارو قد أحس بارتياح كبير ازاء زيارته للانسة روسل فقد أحس بارتياح

اكبر ازاء زيارته للانسة مورا . لم تكن قوية الشخصية كالانسة روسل ولكنها كانت أصغر منها بكثير . كانت لا تزال جميلة جدا تتقد حيوية لها عينان دقيقتا الملاحظة تبدوان كما لو كانتا تحاولان سبر غور الشخص الواقف أمامها ، وقال المخبر السرى يحدث نفسه : انها امرأة فريدة .

وقالت :- كنت انتظرك اليوم أو غدا يا مستر بوارو ، فقد جاءتنى رسالة من شخص يهتم كثيرا بسليا .. من شاب اسمه دسموند بيرثون كوكس اخطرنى بزيارتك .

- انه أصر كثيرا لكى آتى لزيارتك فى الواقع .

- خيل لى أنه يعانى من بعض الصعوبات التى يجب تذليلها ، وكذلك سليا . وهو مقتنع بأن فى استطاعتك مساعدتهما .

- نعم . تضافرت بعض الظروف وحملت ام هذا الشاب على أن لا ترى بعين الرضا زواجه بسليا . وحاولت أن تكتشف أسباب مأساة اوفركليف واتصلت لهذا السبب بمسز أوليفر ، ام ساليا فى العماد ، وكانت تعتقد طبعا ان سليا على علم بما جرى .

- ان سليا لم تعرف عن المأساة شيئا ابدا .. وهى لا تستطيع أن تعرف أكثر مما قيل فى التحقيق كانت غير موجودة فى انجلترا فى ذلك الوقت ورئى ان من الحكمة ان تخفى عنها الظروف الحقيقية التى أحاطت بموت أبويها .

- وهل تقرين أنت هذا القرار ؟

- من الصعب ان أبدى رأيى ، فبقدر ما أستطيع ان اعرف لم تهتم هى بأى شئ ولم تتزعزع ابدا . اعنى انها لم تحاول أن تعرف الاسباب التى دفعت أبويها الى الانتحار ، وقبلت الامر كما لو كانت تفعل لو أنهما لقيا مصرعهما فى حادث سيارة او طائرة ، ثم انك تعرف أنها بقيت مدة كبيرة فى مدرسة داخلية خارج انجلترا .

- *فى المدرسة الداخلية التى كانت تحت ادارتك انت نفسك ؟*

- نعم . وقد اعتزلت اخيرا تاركة مكانى لاحدى زميلاتى .

- اذا كنت قد فهمت جيدا فان سليا لم تسألك عن أية تفاصيل اثناء اقامتها لديك

- كلا . الواقع انها كانت هنا قبل وقوع المأساة بمدة كبيرة . ولكنى لم أكن مديرة للمدرسة فى ذلك الوقت ، اذ كنت لا أزال اعمل عند آل رافنسكروفت .. كنت وصيفة لليدى رافنسكروفت .

- وكانت مريضة اذا لم اخطئ ؟

- نعم . ولكن مرضها لم يكن خطيرا كما كانت تعتقد فى البداية . لم تكن تشكو الا من ارهاق شديد .

- كنت موجودة اذن فى اوفركليف عندما وقعت المأساة . هل تستطيعين ان تذكرى لى كيف وقعت المأساة ؟

- خرج الجنرال والليدى رافنسكروفت فى نزهتهما العادية ، وعثر على جثتيهما فوق الشاطئ الصخرى ، وكان المسدس ملكا للسير اليستير ، وكان يحتفظ به فى درج مكتبه . وقد رفعوا بصماته وبصمات زوجته عن قبضته ، ولكن لم يستطع المحققون معرفة أى منهما امسك به آخر مرة . وكان التفسير الوحيد المنطقى هو انهما انتحرا معا .

- ألم يكن لديك أى سبب للشك فى هذا التفسير ؟

- اعتقد ان البوليس نفسه لم يستطع اكتشاف الدافع الى هذه المأساة.

قال بوارو : آه .

- أرجو المعذرة ؟

- لا شئ .. لا شئ .. كنت أفكر فى شئ فحسب .

رفع المخبر السرى عينيه الى الانسة مورا . كانت هذه الاخيرة هادئة متمالكة الاعصاب لا ينم وجهها عن أى انفعال فقال :

– اذن فأنت لا تستطيعين الافضاء الى بشئ آخر ؟

– اخشى ذلك .

– ومع ذلك فأنك تتذكرين هذه الفترة جيدا ؟

– واضح تماما أن من العسير نسيان مأساة كهذه .

– وتم الاتفاق على أن لا تعلم شيئا من ذلك ؟

– فيما يتعلق بى أنا لم أكن أعلم أكثر من ذلك !

– كنت فى اوفركليف قبل ان تقع المأساة بأسابيع كثيرة ، أليس كذلك ؟

– نعم . ولكن كانت تلك اقامتى الثانية هناك ، لاننى كنت قد أقمت معهم مدة كبيرة قبل ذلك بصفتى مربية لسليا ، وعدت فيما بعد لمساعدة الليدى رافنسكروفت .

– وهل كانت اخت الليدى رافنسكروفت تقيم فى اوفركليف فى ذلك الوقت ؟

– نعم . كانت قد قضت فترة فى احدى المستشفيات ولكن حالتها تحسنت ورأى الاطباء أن من الاوفق ومن الحكمة ان تستعيد حياتها العادية فى بيئة عائلية وكانت سليا فى المدرسة الداخلية فى ذلك الوقت ورأت الليدى رافنسكروفت ان من الكرم أن تدعوها للاقامة معها .

– هل كانت كل منهما شديدة التعلق بالاخرى ؟

قطبت الانسة مورا حاجبيها قليلا وبدا كأن سؤال بوارو قد آثار اهتمامها وقالت :

– من العسير ان اعرف ذلك . واعترف اننى القيت على نفسى هذا السؤال كثيرا ، فى ذلك الوقت وحتى فيما بعد . كانتا توءمتين حقيقيتين وكانت بينهما بالطبع رابطة متينة جدا . كانتا تتشابهان فى نقاط كثيرة ولكن كانت هناك نقاط اخرى ، كذلك كان يبدو انهما يختلفان فيها كل الاختلاف .

– احب لو أن تحددى لى فكرتك هذه بعض الشئ .

– اوه . ليس لهذا اى دخل فى المأساة ، واعتقد ان من المسلم به اليوم ان التوائم

الحقيقية تولد عادة وبينها شبه عجيب فى الطباع . وحتى اذا افترقوا بعد ذلك وشب كل منهم بعيدا عن الاخر فان نفس الاشياء تقع لهم فى نفس الوقت تقريبا . وقد لوحظ ان بعض الحالات تبدو مذهلة . ومثال ذلك : أختان تعيش احداهما فى انجلترا والثانية فى الخارج تختاران كلبا من نفس الفصيلة فى نفس التاريخ وتتزوجان رجلا من نفس الطبقة وتضعان مولودهما فى نفس الشهر وهكذا . يحدث لهما هذا كما لو كانتا مضطرتين تقريبا الى اتباع نفس التوجيه اينما تضعهما ظروف الحياة . ولكن هناك الحالة المضادة كذلك .. نوع من رد الفعل .. بل أكاد أقول من الكراهية تحمل كلا من التوءمتين الى أن تصد الاخرى وان تختلف عنها بكل الوسائل وان تتخلص من كل ما يمكن ان يربطها بالاخرى وقد يؤدى هذا الى نتائج غريبة .

قال بوارو :- نعم ، صحيح ان الحب يمكن ان يتحول الى بغضاء بكل سهولة ، فعندما يكف انسان عن حب شخص آخر فان من الاسهل عليه ان يمقته بدلا من أن لا يبالى به . هل كانت الاخت تشبه الليدى رافنسكروفت كثيرا .

- كانت تشبهها كثيرا جثمانيا على الرغم من أن تعبير وجهها كان يبدو مختلفا . كانت دائمة التوتر وتبدى عصبية على عكس الليدى رافنسكروفت . وفوق ذلك كانت تحس بنوع من الكراهية لا أعرف سببه نحو الاطفال .

- وقد تسببت كراهيتها فى احداث خطيرة ؟

- هل حدوثوك عن هذا أيضا ؟

- عرفت ذلك من اناس عاشروا الاختين عندما كانتا فى الهند . فقد كانت الليدى رافنسكروفت تقيم هناك مع زوجها ، وذهبت دوللى لزيارتهما وعندئذ وقع حادث لطفل بدا ان الاخت كانت مسئولة عنه . لم يكن هناك أى دليل قاطع ضدها ولكن سير اليستير رأى على كل حال أن من الضرورى اعادة أخت زوجته الى انجلترا لكى تدخل المستشفى من جديد .

- نعم أن هذا ملخص رائع للطريقة التى وقعت بها الاشياء ، على الرغم من اننى لم أعلم بهذه الأحداث الا سماعا بالطبع .

- ولكن هناك الى جانب هذا حقائق اخرى تعرفينها جيدا ، اليس كذلك ؟

- اذا صح هذا فلا أرى سببا لكى اتذكرها الان اليس من الاوفق ان ندع الاشياء كما هى .

- ربما وقع فى اوفركليف فى ذلك الوقت ، حادث انتحار مزدوج وربما وقعت جريمة قتل . وتوجد ايضا احتمالات أخرى . ومن عبارة صغيرة نطقت بها الان اعتقد انك تعرفين تماما ما حدث ، بل انك تعرفين ما حدث قبل ذلك أيضا . سألقى عليك سؤالا أرجو أن تجيبينى عليه بكل صراحة . انه لا يتعلق بواقعة ملموسة ولكن باحساسك الشخصى . كيف كانت ، على رأيك انت ، مشاعر الجنرال رافنسكروفت نحو الاختين؟

بدا أن الانسة مورا تتخلى عن توترها لاول مرة ثم راحت تتكلم كما لو كان الكلام يريحها .

- كانتا جميلتين جدا ، وهذا بشهادة الجميع . وكان سير اليستير قد شغف بدوللى اولا ، فعلى الرغم من أنها كانت مختلة العقل قليلا الا انها كانت فاتنة جدا وجذابة اعنى من الناحية الجنسية . ويبدو انه أحبها كثيرا . ولكن يبدو أنه اكتشف فى طباعها شيئا أفزعه . ولعله شهد بداية جنون والاخطار التى قد تنجم عنه . لا أستطيع الا أن اخمن وافترض ، ولكن المؤكد هو انه نقل حبه لموللى وتزوجها .

- اذن فقد احبهما معا .. ليس فى نفس الوقت طبعا ولكن الواحدة بعد الاخرى . وفى كلتا الحالتين كان مخلصا فى حبه ؟

- نعم . ولكنه تعلق بموللى جدا بعد ذلك واولاها كل ثقته كما أولته هى ثقتها . كان رجلا ظريفا جدا ووسيما .

قال بوارو :- أرجو أن تصفحى عنى ولكن يخامرنى احساس بأنك أنت أيضا قد

شغفت به قليلا .

- أنت .. أتجرؤ وتقول لى هذا ؟

- طبعا . أوه .. لا أعنى أنه كانت هناك علاقة بينك وبينه ولكننى أريد فقط أن أقول انك كنت تحبينه .

اعترفت الانسة مورا قائلة :- نعم .. كنت أحبه ، ومازلت أحبه ، وليس فى هذا ما أخجل منه . أما هو فقد كان يثق بى ولكنه لم يعشقنى أبدا . بل اننى لم أكن أطلب شيئا أكثر مما كان يعطينى أياه .. ثقته ومودته .

- ولهذا السبب بذلت كل ما فى مقدورك أثناء تلك الأزمة الفظيعة التى مر بها . أعلم أن هناك أمورا ما كنت تريدين أن تكاشفينى بها ولكننى سأقول لك أنا ما عرفته من مصادر مختلفة وما أخبرنى به بعض الناس الذين عرفوا الاختين . اننى أعرف الحياة المفجعة والمؤلمة التى عاشتها موللى وأعرف شقاءها والاسى الذى أحست به . واذا كانت قد أحبت حقا الرجل الذى كانت مخطوبه له فربما أحست بالبغضاء نحو أختها ، بل لعلها لم تصفح عنها أبدا . ولكن موللى ؟ .. كيف كانت مشاعرها نحو أختها فى رأيك أنت ؟

- كانت تحبها كثيرا .. حبا عميقا .. وكانت تتمنى لو استطاعت أن تحميها وتبعد عنها الشقاء والاخطار .

لزم بوارو الصمت لحظة ثم قال :- لنستعرض الان ، اذا أردت ، حقائق أخرى . الباروكات أولا وعددها أربع . أعرف كيف كانت وأعرف كذلك أنه عندما دعت الضرورة الى شراء اثنتين اخريين فان فتاة فرنسية هى التى ذهبت لشرائهما من لندن . وكان هناك كلب كذلك يرافق سير اليستير وزوجته يوم المأساة ، وهذا الكلب نفسه كان قد عض سيدته قبل ذلك .

- كثير من الكلاب تفعل ذلك ، ولا يمكن أن نثق بها ثقة كاملة .

- وسأقول لك أيضا ، ما حدث فى أوفركليف فى ذلك اليوم طبقا لما أراه ، وما حدث فيها قبل ذلك أيضا .

- واذا رفضت أن أصغى اليك ؟

- بل ستصغين الى . ولك بعد ذلك أن تقولى ان كل ما ذكرته غير صحيح وأنه نتيجة خيالى المحض . ولكننى لا أظن أنك ستفعلين ذلك لاننا بحاجة الى الحقيقة ، فهناك فى مكان ما من انجلترا فتاة وشاب متحابان ويخافان المستقبل بسبب ما حدث وما قد تكون الفتاة قد ورثته عن أبيها أو عن أمها . ولكنهما من الشجاعة بحيث يستطيعان مواجهة الحقيقة دون ما خوف وبكل ما فى الحياة من قبول ورضا بالواقع لأنهما يأملان خيرا .

- الظاهر أنك تعرف أكثر مما كنت أتصور . تكلم يا مستر بوارو ، اننى مصغية اليك .

***

الفصل العشرون

وقف هركيول بوارو من جديد على الشاطئ الصخرى المشرف على البحر الذى راحت أمواجه الصاخبة تتدافع وتتكسر على الصخور .. فى هذا المكان بالذات اكتشفت جثتا الزوجين وفيه لقيت الاخت مصرعها قبل ذلك بثلاثة أسابيع أثناء سيرها وهى نائمة .

واليوم سيجتمع فى هذا المكان أشخاص كثيرون : شاب وفتاة يبحثان عن الحب وشخصان آخران من معارفهما .

حول بوارو بصره الى البحر ليرده بعد ذلك الى الطريق المؤدى الى فيللا كانت تعرف فيما سبق بفيللا " أوفركليف " . لم تكن بعيدة جدا ، وكان يرى سيارات واقفة بطول الجدار .. وفوق الباب كانت هناك لافتة تعلن أن الفيللا معروضة للبيع كما كانت على الباب نفسه لوحة صغيرة تشير الى أن اسمها تغير من فيللا " أوفركليف " . الى " داون هاوس " . وتقدم المخبر السرى لملاقاة دسموند بيرتون كوكس وسليا رافنسكروفت ، وكانا يصعدان الطريق معا .

وقال الشاب :- لقد أعطانى السمسار المفتاح لكى أدخل اذا شئت ولكن البيت انتقل من صاحب الى آخر مرتين أثناء الخمس عشرة سنة الاخيرة ولا أظن أنه بقى فيه شئ يستحق أن يرى .

وقالت سليا :- لا أظن ذلك . اشتراه أول مرة رجل يدعى آرشر باعه بعد ذلك الى من يدعى فالوفيلد لانه وجده بعيدا جدا عن العمران . ويريد فالوفيلد آن يتخلص منه

الان بدوره . لعله مسكون .

- هل تعتقدين حقا بأن هناك بيوتا مسكونة ؟

- أظن .. اننى لا أدرى ، ولكن من الجائز انه مسكون ، أليس كذلك ؟ .. بعد كل الذى حدث .

تدخل بوارو فقال :- لا أظن ذلك ، فقد كان هنا الشقاء والموت ، ولكن كان هناك الحب كذلك .

ووقفت سيارة أجرة فى أسفل الطريق فقالت سليا :- لاريب أنها مسز أوليفر . فقد قالت لى أنها ستأتى بالقطار وتستقل سيارة أجرة من المحطة بعد ذلك .

هبطت امرأتان من السيارة . كانت احداهن مسز أوليفر فعلا . أما الاخرى فكانت ترتدى ثيابا أنيقة ، وكانت أطول منها قامة وأصغر سنا . وراقب بوارو سليا من طرف عينيه لكى يرى رد الفعل . وبقيت الفتاة لحظة مشدوهة ثم اندفعت متألقة الوجه من الفرح وألقت بنفسها بين ذراعى الانسة مورا وهى تصيح :

- أوه .. انها زيليا .. اننى لا أخطئ .. زيليا .. ما أسعدنى .. لم أكن أعرف أنك قادمة .

- أتيت لان مستر بوارو طلب منى ذلك .

- اننى أفهم .. أخيرا .. أظن أننى أفهم .. أهو أنت يا دسموند ؟

- نعم ، اننى كتبت الى الانسة مورا .. الى زيليا هنا اذا كانت تسمح لى بأن أدعوها بهذا الاسم أنا الاخر .

قالت المرأة :- طبعا . اننى تساءلت هل من الحكمة أن آتى . وما زلت أتساءل اذا كنت قد أحسنت صنعا . أرجو ذلك على كل حال .

قالت سليا :- أوه ، نعم . اننى أريد أن أعرف . اننا نتمنى أن نعرف الحقيقة . كان دسموند مقتنعا أنك تستطيعين أن تقولى لنا شيئا .. هل كان انتحارا أم جريمة

قتل ؟ هل قتلوا أبى وأمى لسبب لا ندريه ؟

مضى بوارو فى بطء نحو المقاعد الحديدية الموجودة على مقربة من البيت تحت خميلة كبيرة وقال : - سنجلس هنا . عاش أناس آخرون فى هذا البيت وأصبح له جو مختلف اليوم ، ونستطيع اذا شئنا أن ندخله بعد أن نفرغ من تحقيقنا .

قال دسموند :- تحقيقنا .

- نعم . فى الاحداث التى وقعت هنا منذ أربعة عشر عاما .

ثم تحول الى الفتاة وقال وهو يجلس :- فى رأيك أنه يجب أن يكون اما انتحارا واما جريمة قتل ؟

- لا يمكن الا أن يكون أحد الامرين .

من رأيى أننا ازاء جريمة قتل وانتحار ، وازاء ما يمكن أن أسميه حكما بتنفيذ الاعدام كذلك . ويالها من مأساة .. مأساة شخصين متحابين ماتا حبا ، لان هناك مآسى أخرى كثيرة غير مأساة روميو وجولييت ، ولان الشباب ليسوا وحدهم بالضرورة الذين يتألمون من عذاب الحب وتباريحه وليسوا وحدهم كذلك الذين يتأهبون للموت حبا..

تمتمت سليا : - اننى لا أفهم .

- سوف تفهمين حالا . سأذكر لكن الان ما حدث ، وكيف اكتشفت الحقيقة . ان الحقائق الاولى التى أثارت اهتمامى هى نفس الحقائق التى لم يجد لها البوليس تعليلا..

وأبدأ فأقول أنه كانت هناك أربع باروكات بين أمتعة الليدى رافنسكروفت .

وأمسك بضع لحظات ثم عاد يقول فى لهجة خطابية :

- أربع باروكات .

وتحول الى زيليا فى تساؤل فقالت :- انها لم تكن تلبس الباروكة باستمرار ولكنها

كانت تلبسها من وقت لآخر .. عندما تسافر مثلا ، أو اذا خرجت من غير قبعة وعادت ثم اضطرتها الظروف الى الخروج فورا دون أن تجد وقتا لتمشيط شعرها . وكانت تلبسها كذلك عندما تذهب الى حفلة ليلية .

قال بوارو :- نعم . وأغلب النساء اللاتى يلبسن الباروكات لا يملكن أكثر من اثنتين ، ولكن أربعا .. بدا لى ذلك أمرا غريبا . لا سيما وأن الطبيب الذى فحص جثتها ذكر فى تقريرها أن شعرها فى حالة جيدة وأنه لم يكن يخشى عليها من الصلع . واحدى هذه الباروكات كانت فاتحة اللون والثانية ذات خصلات قصيرة ، وكانت تلبس هذه الاخيرة فى اليوم الذى لقيت فيه مصرعها .

قالت سليا :- كان من الجائز ان تلبس باروكة أخرى غيرها فى ذلك اليوم . ألهذا الامر أهمية ؟

- ربما . قالت الخادمة أثناء التحقيق أن سيدتها كانت تلبس هذه الباروكة بصفة مستمرة تقريبا منذ بضع أسابيع .

- لا أرى ..

- وفى الاسبوع الماضى بينما كنت أتحدث مع القوميسير جارووای ذكر لى عبارة غريبة هى : " نفس الرجل ولكنه يلبس قبعة أخرى " . وخطرت لى عندئذ فكرة .

- مازلت لا أفهم .

استطرد بوارو غير مكترث :- ثم هناك غير الباروكات مسألة الكلب .

- الكلب .. وما دخله فى هذه المسألة ؟

- كان ، طبقا لاراء الجميع ، متعلقا جدا بسيدته . ولكنه مع ذلك ، وفى خلال الاسبوعين أو الاسابيع الثلاثة التى سبقت المأساة عضها مرارا كثيرة .

سأله دسموند :- هل تريد أن تجعلنا نعتقد أنه أحس بأن الليدى رافنسكروفت كانت عازمة على الانتحار ؟

- كلا .. إن الأمر أبسط من هذا بكثير .

- لا ..

- كان يعرف ما لا يعرفه الاخرون .. كان يعرف أنها ليست سيدته .

أطلقت سليا صيحة دهشة فى حين استطرد بوارو يقول :- كانت الخادمة ، وهى لم تكن صماء فحسب وانما كانت ضعيفة البصر جدا ، كانت ترى فى البيت امرأة ترتدى ثياب الليدى رافنسكروفت وباروكتها المميزة .. نفس الرجل ولكنه يلبس قبعة مختلفة هكذا قال جاروواى .. وخطرت ببالى فكرة كالبرق .. " نفس الباروكة على رأس امرأة أخرى " . أما الكلب فلم ينخدع .. تلك المرأة لم تكن السيدة التى يخلص لها .. كانت امرأة أخرى لم يكن يحبها وانما كان يخشاها .

ولكن اذا فرضنا أن هذه المرأة لم تكن مسز رافنسكروفت اذن فمن عساها تكون؟. أختها دوللى ..

قالت سليا :- ولكن هذا محال .

هز بوارو رأسه فى هدوء وقال بدون أى ارتباك :

- وأصل الان الى المعلومات التى جمعتها مسز أوليفر . قال البعض أن الليدى رافنسكروفت عولجت فى احدى المستشفيات وأنها كانت مصابة بالسرطان أو أنها كانت تعتقد أنها مصابة به ويجب أن أقول الان أن الامر لم يكن كذلك وأنها لم تكن مصابة بأى مرض مشابه وذلك طبقا لتقرير الطبيب الشرعى . ثم علمت شيئا فشيئا قصة الاختين اللتين تحب كل منهما الاخرى كل الحب ، كما هى الحال مع التوائم فى أغلب الاحيان ، وكانت كل منهما تلبس وتتصرف بنفس الطريقة . وتزوجت كل منهما ضابطا عسكريا ، ولكن فيما بعد بدلا من أن يستمر الشبه بينهما أرادت كل منهما أن تختلف عن الاخرى . ووجد البعض سببا لهذا التصرف الغريب فان اليستير رافنسكروفت كان قد أحب فى البداية دوروتيا برستون جراى وهى ما تزال فتاة فى

ريعان الشباب . ثم نقل حبه الى مرجريت وتزوجها فيما بعد . وأحست دوللى عندئذ بغيرة مبرحة وبدأت تحس بالبغضاء نحو أختها فى حين ظلت هذه الأخيرة على حبها لها ويمكن أن تفسر هذه النقطة أشياء كثيرة ولكن الواقع أن دوروتيا قدر لها أن تسير قدما الى نهاية مفجعة لا بسبب غلطتها أو بسبب الظروف ولكن بحكم مولدها نفسه وعوامل الوراثة ، فقد كانت متقلبة بطبيعتها ، فمنذ حداثتها وبدون سبب معروف كانت تكره الاطفال ، والمعتقد أنها مسئولة عن موت أحد أولادها ، وهو طفل صغير فى الرابعة من عمره . ولم يكن هناك ضدها أى دليل قاطع ولكن المسألة كانت واضحة بما فيه الكفاية أمام الطبيب بحيث نصح بادخالها احدى المستشفيات .وعندما أعلن شفاؤها استأنفت حياتها العادية وأخذت تتردد على أختها .

وعندئذ وأثناء زيارة لها لليدى رافنسكروفت بماليزيا وقع الحادث الثانى وراح ضحيته طفل من الجيران .

وفى هذا الحادث أيضا لم يكن هناك أى دليل يدل على أن دوللى هى المسئولة . وأعادها سير اليستر الى انجلترا حيث أدخلت المستشفى من جديد .

وعندما غادرتها بعد أن شفيت فى الظاهر حاولت مرة أخرى أن تسأنف حياتها العادية . وكانت مرجريت قد عادت فى هذه الاثناء الى انجلترا هى وزوجها فظنت أنها تفعل خيرا اذا أخذتها لكى تقيم معها حتى تسهل مراقبتها عن كثب واتقاء أية نكسة محتملة . ومع ذلك فاننى لاأعتقد أن الجنرال رافنسكروفت كان مستريحا لهذا الحل ، وأظن أنه كان يعتقد أن أخت زوجته لايرجى شفاؤها وأنها لابد ستنتكس ذات يوم .

سأل دسموند :- هل تقصد ان تقول انها هى التى قتلت الجنرال وزوجته ؟.. هذا معقول لانها ماتت قبل ذلك بثلاثة أسابيع .

أجاب بوارو :- كلا . ولكنها قتلت أختها بأن ضربتها بحجر ثقيل ثم دفعت بها الى الفضاء ذات يوم وهما تتنزهان فى طريق الشاطئ الصخرى . فقد استيقظ الحقد

والبغضاء الهاجعان فى أعماقها واللذان كانت تحس بهما نحو أختها السليمة العقل . ولكننى أعتقد أن هناك من كان يعلم ذلك .. وأعنى به شخصا كان يقيم فى أوفر كليف فى نفس وقت .. كنت أنت تعرفين ما حدث يا آنسة مورا ، أليس كذلك ؟

أجابت زيليا :- نعم ، كنت أعلم . كان الجنرال وزوجته يشعران بالقلق منذ وقت طويل فقد حاولت دوللى أن تجرح ابنهما الصغير ادوارد وكان مريضا وقضى بالبيت نحو ستة شهور برفقة مدرس . وقرر سير اليسنير أن يرسل ابنه الى مدرسته وسليا الى سويسرا . أما أنا فعدت بعد ذلك لكى أبقى بصحبة الليدى راقنسكروفت .

واحسسنا جميعا بالهدوء والاطمئنان بعد أن ابعد الطفلان ثم وقعت المأساة ذات يوم .

" كانت الاختان قد خرجتا معا ودهشنا أنا وسير اليستير عندما رأيت دوللى تعود وحدها . كانت تبدو غريبة وعصبية أكثر من المعتاد . وعندما أخذت مكانها أمام المائدة عند اعداد الشاى لحظ سير اليستير أن يدها اليمنى ملوثة بالدم . وعندما سألها اذا كانت قد وقعت أجابته تقول : " أوه ، ليس هذا بشئ . لا شئ أبدا . أردت أن التقط زهرة فجرحت " . ولو أنها تكلمت عن شئ آخر غير الزهور لهذا الامر معقولا .

ولكن ردها أفزعنا ايما فزع لانه لم تكن هناك زهور بجوار البيت . وخرج سير اليستير راكضا . وتبعته . وكان لا يكف عن القول : " لقد حدث شئ لموللى وأنا واثق من هذا ". ولم يكن مخطئا للاسف . وعثرنا عليها فوق صخور الشاطئ ، وكانت لا تزال على قيد الحياة ، ولكنها كانت قد فقدت الكثير من دمها . ولم ندر ماذا نفعل ولم نجرؤ على نقلها الى البيت . كان كل ما فى مقدورنا أن نفعله هو استدعاء الطبيب ولكن قبل أن أتمكن من الابتعاد خطوة واحدة لكى أتكلم فى التليفون تشبثت بزوجها وقالت لاهثة : " نعم . انها دوللى ولكنها لم تكن تدرى ما تفعل لا يجب ان نتركها تتحمل نتيجة عملها هذا . انها ليست مسئولة . لم تعرف أبدا لماذا تفعل هذه الاشياء

فان الامر أقوى منها .

" يجب أن تعدنى يا اليستير . اننى سأموت . كلا كلا . ليس هناك وقت لاستدعاء الطبيب ، ثم انه لن يستطيع أن يفعل شيئا فقد فقدت الكثير من دمى ولن أعيش طويلا . اننى أعلم ذلك . ولكن عدنى . عدنى انك ستنقذها ، وانك لن تترك البوليس يلقى القبض عليها . عدنى انهم لن يحاكموها وانها لن تقضى بقية أيامها فى السجن كالمجرمين . خبئنى فى مكان ما حتى لا يعثروا على جثتى ، أرجوك . هذا آخر شئ أطلبه منك . انت الذى أحبه أكثر من أى شئ آخر . اقسم لى ، وأنت أيضا يازيليا ، أعرف انك تحبيننى وانك تحبين الطفلين . كنت دائما كريمة معنا جميعا . يجب أن تنقذى دوللى المسكينة . أرجوكما .. يجب ان تنقذى دوللى المسكينة . أرجوكما .. يجب انقاذها .

وأمسكت الانسة مورا وقد أغرورقت عيناها بالدموع .

وسألها بوارو فى رفق :- وماذا فعلت ؟

- ماتت الليدى رافنسكروفت بعد بضع دقائق من تفوهها بالكلمات الاخيرة التى كررتها عليكم . وعاونت سير اليستير فى نقل جثمانها الى وسط الصخور وأخفيناها بقدر ما أستطعنا وقال سير اليستير : " اننى وعدت ، ويجب أن أفى بوعدى . ولكننى لا أدرى كيف أفعل ، وكيف أنقذ دوللى " . وعدنا الى البيت .

وكانت دوللى ما تزال هناك ، وكانت تكاد تموت من الفزع وتنم عيناها فى نفس الوقت عن ارتياح كبير وقالت : " عرفت دائما أن موللى كانت تجسد الشر وقد انتزعتك منى يا اليستير . كنت لى ولكنها حولتك عنى وأفلحت فى أن تحملك على الزواج منها ، ولكننى كنت أعرف دائما اننى سأنتقم وانا خائفة الان .. ماذا سيفعلون بى ؟ لا يمكن أن يحبسونى من جديد والا جننت . قل لى يااليستير . انك لن تدعهم يأخذوننى ويتهموننى بجريمة القتل . ومع ذلك فانها لم تكن جريمة قتل . كان لابد لى

أن أتصرف هكذا . لم أكن أستطيع أن أفعل غير ذلك . هناك لحظات يجب أن أفعل فيها اشياء بالذات . وكنت أريد أن أرى الدم .. دمها هى . ولكننى لم استطع الانتظار حتى تموت فهربت . ولكننى كنت أعرف أنها ستموت ، وكنت ارجو أن لاتعثر على جثتها هكذا حالا ..

سيقولون أنه حادث وانها وقعت من فوق الشاطئ .

قال دسموند :- هذه قصة فظيعة .

وتمتمت سليا :- نعم . ومع ذلك فانني أفضل ان أعرفها .. ولكن ماذا فعلتما يا زيليا .

- كنا نرجو أن لا يعثروا على الجثة فورا لانه لم يكن هناك أى طريق يؤدى الى المكان الذى اخفيناها فيه . وكنا نحسب اننا ربما استطعنا أن ننقلها فيما بعد ليلا الى مكان مناسب يحمل الناس على الظن بأنها وقعت فى البحر . ثم فكرنا فى قصة السير اثناء النوم وقال سير اليستير : - هذا فظيع ، ولكننى وعدت .. أقسمت دوللى وهى تجود بنفسها الاخير ، اقسمت أن أفعل ما طلبته منى ، وليست هناك وسيلة لانقاذ دوللى ما لم تقبل أن تقوم بدورها . ولكننى اتساءل هل تستطيع ذلك ؟ فسألته أية وسيلة ؟.. " هو أن تأخذ مكان موللى وان تدعى انها هى التى وقعت فوق الصخور وهى تمشى أثناء النوم " .

وهذا ما فعلناه . مضينا بدوللى الى بيت قديم غير مسكون منذ وقت طويل ، وبقيت معها بضعة أيام ، وقال اليستير أن زوجته تعانى من صدمة شديدة على اثر موت أختها وانه نقلها الى المستشفى ثم أتينا بدوللى فى الوقت المناسب وقد ارتدت ثياب موللى وباروكتها . وذهبت أنا الى لندن حيث اشتريت باروكتين بخصلات قصيرة لكى تبدو كما لو كانت هى موللى نفسها . وكانت الاختان تتشابهان بما فيه الكافية بحيث أن الخادمة العجوز جانيت ، لم تستطع أن تدرك الخدعة . وحسب الجميع أنهم

أمام موللى وانها لا تزال تعانى من الصدمة التى أصيبت بها بحيث لم يستغرب أحد من تصرفاتها على الرغم من غرابتها . ويجب أن أوضح انه لم يكن فى الاستطاعة التمييز بين صوت الاختين كذلك بحيث بدا كل شئ طبيعيا . وكان هذا أفظع ما فى الامر .

- لا أفهم كيف استطعتما التخلص من هذه الورطة دون أن يشك أحد فى شئ .

- لم تجد دوللى دورها صعبا لسبب بسيط هو أنها أصبحت تملك ما كانت تتمناه طوال حياتها .. أصبح اليستير ملكا لها .

- ولكن كيف استطاع هو احتمال هذا الموقف ؟

- فى اليوم الذى عزمت فيه على العودة الى سويسرا أطلعنى على ما ينوى أن يفعل .

قال لى " اننى وعدت موللى أن لا أسلم أختها للبوليس حتى لا يعلم أحد أنها قاتلة وحتى لا يعرف الطفلان شيئا أبدا .. لا حاجة لاحد أن يعرف أى شئ . كانت مصابة بداء المشى أثناء النوم ووقعت فوق الصخور . كان ذلك حادثا وقع قضاء وقدرا ولا شئ غير ذلك " .

وسألته عندئذ : " كيف تستطيع أن تقبل هذا ؟ " .

فقال : " اننى احتمله بسبب ما أنوى الاقدام عليه يجب أن تموت دوللى لاننا اذا تركناها بجوار الطفلين فستقع حوادث أخرى . انها ليست جديرة بأن تعيش . ولكن يجب بعد ذلك أن أدفع حياتى ثمنا للعمل الذى سأقدم عليه . سأبقى معها هنا وستقوم بدور زوجتى لبضعة أسابيع ثم .. تقع مأساة ثانية . سيقتنع الجميع بأننى انتحرت أنا وموللى . وسيظنون ان واحدا منا مصاب بالسرطان وسيفكرون فى مرض عضال ، وسيدلون بنظريات مختلفة ولكن أحدا لن يعرف السبب الحقيقى للمأساة . أعدك أن لا تتألم دوللى . سأقتلها بعيار نارى ثم انتحر بعدها ، وسيجدون بصماتها مع بصماتى

فوق المسدس لانها امسكته في مكتبي منذ أيام قلائل . لابد من القصاص وأنا الوحيد الذى أستطيع أن أقوم بذلك دون الاساءة الى ذكرى دوللي . ولكن أريد أن تعلمي يا زيليا انني أحببهما وما زلت احب .. كلاهما .. موللي اكثر من حياتي ودوللي لانى أرثى لها لأنها ولدت هكذا . تذكري هذا دائما ..

ونهضت زيليا واقتربت من سليا وقالت :- انك تعرفين الحقيقة الان ، كنت قد وعدت أباك ان اكتمها الى الابد ، وقد عجزت عن الوفاء بوعدى ولم يكن في نيتى أن أفعل ، ولكن مستر بوارو كان قد أدرك كل شئ واقنعني أن أذكر كل ما أعرفه .

أجابت الفتاة :- انني أفهم شعورك ، ولكنني مسرورة لانني عرفت وأحس بأنني تخلصت من حمل كان يثقل كاهلي . عندما كنت طفلة كانت دوللي تخيفنى قليلا ولكنني لم أكن أعرف لماذا . وقد فهمت الان ، وأرى أن أبى كان شجاعا اذ فعل ما فعل . واذا كان قد أخطأ فيمكننا أن نغفر له ولكنني لا أظن انه اخطأ . لقد وفى بوعده لزوجته وانقذ دوللي . انها لم تكن مسئولة عن أعمالها وسأحاول أن أفكر فيها بطيبة أكثر .

اقترب دسموند من الفتاة وقال : - سنتزوج بأسرع ما يمكن ، ولكنني استطيع أن أعدك بشئ واحد وهو أن أمي بالتبني لن تعرف ما حدث أبدا .

وكان بوارو قد ابتعد قليلا مع زيليا فسألها : - لعلك لا تلومينني كثيرا لانني أتيت واقنعتك بالمجئ لتوكيد الحقيقة التي اكتشفتها .

- كلا . انك احسنت صنعا .. بسبب هذين الشابين المتحابين .. انهما متكافئان وسيكونان سعيدين .

لزمت المرأة الشابة الصمت لحظة قبل أن تستطرد قائلة :

- هنا في هذا المكان الذى نحن فيه عاش ومات شخصان كانا يتحابان هما الاخران . لا أعرف اذا كان الجنرال قد أخطأ بما فعل ولكنني لا أستطيع أن ألومه .

- كنت تحبينه أنت أيضا . أليس كذلك ؟

- نعم . احببته منذ أول يوم ذهبت فيه الى اوفركليف كنت احبه فى رفق ولا أظن انه عرف ذلك أبدا ولكنه كان يثق بى ويشعر بالود نحوى . وكنت أحبهما معا ، هو ودوللى .

- هناك شئ أحب أن أسألك اياه .. كان يحب كلا منهما ، أليس كذلك ؟

- حتى آخر رمق فى حياته . نعم . أحب كلا منهما . ولهذا السبب أراد ، كما ارادت موللى ان ينقذ اختها . أما من منهما أعزها أكثر من الاخرى فهذا ما لم أعرفه أبدا ولن أعرفه .

تفرس بوارو فيها لحظة ثم ابتعد فى خطوات بطيئة لكى يلحق بمسز أوليفر وقال :

- علينا أن نعود الى لندن الان .. ان نعود الى حياة كل يوم ، وان ننسى مآسى القلب وأشجانه .

أجابته الكاتبة :- ان الافيال لا تنسى . ولكننا بشر والبشر ينسون وأحمد الله على ذلك .

تم بحمد الله

مجموعـــة قصـــص
أجاثا كريستى

* القضية المستحيلة
* النظرات القاتلة
* : رحلة إلى المجهول
* الحب الذى قتل
* جزيرة المهربين
* المؤامرة الكبرى
* الأفعى
* جريمة مثلة
* أبواب القدر
* المتهمة البريئة
* مغامرات بوارو
* التضحية الكبرى
* جريمة فوق السحاب
* جريمة فى العراق
* الساحرة
* اللغز المثير
* سر التوأمين
* اختطاف رئيس الوزراء
* العميل السرى
* سر الجريمة
* القضية الكبرى
* الجريمة الكاملة
* قتيل فى المترو
* ذكريات
* أدلة الجريمة
* القاتل الغامض
* الرسائل السوداء
* عدالة السماء
* المتهم الصامت
* الذئب
* شرخ فى المرآة
* زملاء الشر
* المغامر
* لغز الهاربان
* المطاردة القاتلة
* لغز أختفاء المليونير
* الضحية الثالثة
* الصوت الغامض
* القناع الزائف
* الحلم الرهيب
* رجل بلا قلب
* صرخة فى الليل
* خيوط العنكبوت
* تحدى العظماء الأربعة
* جريمة فى البحر
* المرآة الغامضة
* لغز الألغاز
* الرجل الخفى
* وجها لوجه
* جريمة الكوخ
* كأس السم
* الرعب القاتل
* دائرة الخطر
* الغرفة السرية
* الشبح القاتل
* رجل يتحدى بوا
* سر المرأة المقنع
* الجريمة المعقدة
* الرصاصة الأخيرة
* الشاهدة الوحيدة
* الماسة العجيبة
* بيت الأسرار
* شبح من الماضى
* الساحرات الثلاثة
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدوجة
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمية
* ساعة الصفر
* جريمة فى قطار الشرق
* جزيرة الموت
* المصيدة
* جريمة القصر
* أغتيال اللورد
* الزائر الغامض
* الخدعة الكبرى
* أعلان عن جريمة
* الأنتقام الرهيب

كتاب رقم 1085
مكتبة معروف
الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص ب ٣٧٠ الإسكندرية

مكتبة دار الشعب
المملكة العربية السعودية
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض